خيوط الظل.. الحكم من وراء الستار

قنبلة نتنياهو: كيف سيحقق إسرائيل الكبرى 08

الإخوان المسلمون والترتيبات الإقليمية بعد حرب غزة 04

وصية أنس الشريف: عسى أن يكون الله شاهدًا على من سكتوا وقبلوا بقتلنا

هذه وصِيّتي، ورسالتى الأخيرة. إن وصلتكم كلماتى هذه، فاعلموا أن إسرائيل قد نجحت فى قتلى وإسكات صوتي.

بداية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يعلم الله أننى بذلت كل ما أملك من جهد وقوة، لأكون سندًا وصوتًا لأبناء شعبي، مذ فتحتُ عينى على الحياة فى أزقّة وحارات مخيّم جباليا للاجئين، وكان أملى أن يمدّ الله فى عمرى حتى أعود مع أهلى وأحبّتى إلى بلدتنا الأصلية عسقلان المحتلة "المجدل" لكن مشيئة الله كانت أسبق، وحكمه نافذ.

عشتُ الألم بكل تفاصيله، وذُقت الوجع والفقد مرارًا، ورغم ذلك لم أتوانَ يومًا عن نقل الحقيقة كما هي، بلا تزوير أو تحريف، عسى أن يكون الله شاهدًا على من سكتوا ومن قبلوا بقتلنا، ومن حاصروا أنفاسنا ولم تُحرّك أشلاء أطفالنا ونسائنا فى قلوبهم ساكنًا ولم يُوقفوا المذبحة التى يتعرّض لها شعبنا منذ أكثر من عام ونصف.

أوصيكم بفلسطين، درةَ تاج المسلمين، ونبضَ قلب كلّ حرّ فى هذا العالم. أوصَيكم بأهلها، وبأطفالهَا المَظلوّمين الصغار، الذين لم يُمهلهم العُمرُ ليحلموا ويعيشوا فى أمان وسلام، فقد سُحقَت أجسادهم الطاهرة بآلاف الأطنان من القنابل والصواريخ الإسرائيلية، فتمزّقت، وتبعثرت أشلاؤهم على الجدران.

أوصيكم ألّا تُسكتكم القيود، ولا تُقعِدكم الحدود، وكونوا جسورًا نحو تحرير البلاد والعباد، حتى تشرق شمسُ الكرامة والحرية على بلادنا السليبة.

أوصيكم بأهلى خيرًا، أوصيكم بقُرّة عيني، ابنتى الحبيبة شام، التى لم تسعفنى الأيّام لأراها تكبر كما كنتُ أحلم. وأوصيكم بابنى الغالى صلاح، الذى تمنيت أن أكون له عونًا ورفيق درب حتى يشتدّ عوده، فيحمل عنى الهمّ، ويُكمل الرسالةَ.

أوصيكم بوالدتى الحبيبة، التى ببركة دعائها وصلتُ لما وصلت إليه، وكانت دعواتها حصني، ونورها طريقي. أدعو الله أن يُربط على قلبها، ويجزيها عنّى خير الجزاء. وأوصيكم كذلك برفيقة العمر، زوجتى الحبيبة أم صلاح بيان، التى فرّقتنا الحرب لأيام وشهور طويلة، لكنها بقيت على العهد، ثابتة كجذع زيتونة لا ينحني، صابرة محتسبة، حملت الأمانة فى غيابى بكلّ قوّة وإيمان. أوصيكم أن تلتفوا حولهم، وأن تكونوا لهم سندًا بعد الله عز وجل.

إن متُّ، فإننى أموت ثابتًا على المبدأ، وأشهد الله أنى راض بقضائه، مؤمنٌ بلقائه، ومتيقّن أن ما عند الله خَيرٌ وأبقى. اللهم تقبّلنى فى الشهداء، واغفر لى ما تقدّم من ذنبى وما تأخّر، واجعل دمى نورًا يُضيء درب الحرية لشعبى وأهلي. سامحونى إن قصّرت، وادعوا لي بالرحمة، فإنى مضيتُ على العهد، ولم أُغيّر ولم أُبدّل.

لا تنسوا غزة... ولا تنسونى من صالح دعائكم بالمغفرة والقبول.

أنس جمال الشريف



أنس قبيل الرحيل

وكان أنس الشريف وزميله مراسل الجزيرة محمد قريقع قد استشهدا يوم ١٠ أغسطس جراء قصف مسيّرة إسرائيلية استهدفت خيمة الصحفيين الملاصقة لمستشفى الشفاء، وأسفر القصف أيضا عن استشهاد المصورين إبراهيم ظاهر ومحمد نوفل.

وفى بيان نشره بعيد الغارة، أقر جيش الاحتلال الإسرائيلى باستهداف الزميل أنس الشريف.

وقالت قناة CNN إن جيش الاحتلال الإسرائيلى



أنس الشريف مداعبا طفلته

استهدف الصحفى أنس الشريف وقتله. وقالت الجزيرة فى بيانها عقب الهجوم: "إن إصدار الأمر بقتل أنس الشريف، أحد أشجع صحفيى غزة، مع زملائه، هو محاولة يائسة لإسكات الأصوات قبل اجتياح القطاع".

وكتب الشريف على وسائل التواصل الاجتماعى فى الدقائق الأخيرة قبيل مقتله: "إذا لم يتوقف هذا الجنون، ستتحول غزة إلى أنقاض، وستُخرَس أصوات أهلها، وتُمحى وجوههم — وسيسجل التاريخ أنكم كنتم شهودًا صامتين على إبادة جماعية اخترتم ألا توقفوها".

وادعى جيش الاحتلال فى بيان بعد الغارة أنه كان قد قدّم فى السابق "معلومات استخباراتية ووثائق عديدة عُثر عليها فى غزة تثبت بشكل قاطع انتماء أنس الشريف العسكرى لحماس".

وردّ الشريف فى منشور عبر وسائل التواصل الشهر الماضى بعد أن اتهمه الجيش الإسرائيلى بالانتماء إلى حماس، قائلًا: "أؤكد مجددًا: أنا أنس الشريف، صحفى بلا أى انتماءات سياسية ومهمتى الوحيدة هى نقل الحقيقة من الميدان — كما هي، دون تحيّز"، وأضاف: "فى وقت يفتك فيه الجوع القاتل بغزة، أصبح قول الحقيقة، فى نظر الاحتلال، تهديدًا".

وكان الشريف متزوجًا وأبًا لطفلين، واغتالت إسرائيل فى غزة خلال الفترة الممتدة منذ ٧ أكتوبر ٢٠٢٣ وحتى بداية أغسطس الجارى أكثر من ٢٢٥ صحفيا ويرفع الاستهداف الأخير عدد الصحفيين الذين استشهدوا بعمليات الاحتلال إلى أكثر من ٢٣٠ صحفيا.

وكالات الأنباء

جريدة أسبوعية - تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

مجدى شندى

الموقع الإلكترونى

www.elmashhad.online

العدد 341 -السنة الرابعة عشرة-

الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م

الموافق 18 صفر 1447 هـ

10 صفحة - الثمن: 5 جنيهات

المشهد

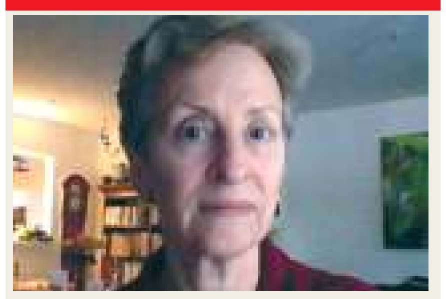
لا سقف للحرية

تحقيق



المرأة بين الصمت والحرمان في الفقه والإنجيل 06

ثقافة



كلاريسا بيرت لا أحب شعر أدونيس 09

تنمية بشرية



كيف تتجنب الأوقات العصيبة 10

12 توصية لمعالجة فجوات المشاركة السياسية أهمها دعم مساحات الحرية العامة

المجلس القومى لحقوق الإنسان يوصى بتعديل قانونى النواب والشيوخ

ناقش المجلس القومى لحقوق الإنسان دراسة بعنوان "المشاركة فى الحياة العامة .المجالس النيابية نموذجا. كيف نظمها التشريع ؟ ومارسها المصريون" أعدها عبد الناصر قنديل، خبير النظم والتشريعات ومدير المجموعة المصرية للدراسات، ضمن سلسلة (أوراق السياسات)

تضمنت الدراسة عدة توصيات لمعالجة فجوات المشاركة السياسية باعتبارها أحد أبرز الأدوات التى تعكس حالة الاندماج القومى والرضاء العام عن طرق تشكيل تلك المؤسسات والتفاعل مع ما يصدر عنها من قرارات وقواعد عامة ، مؤكدة أنه يتوجب التعامل مع الفجوات ونقاط الضعف المرتبطة بها بشكل فاعل وسريع يتجاوز تلك التهديدات التى قد تقود المجتمع لحالة من الانقسام والغضب الذى ينال من السلم الاجتماعى العام وهو ما يدفع نحو النظر فى اعتماد وتطبيق التوصيات التالية :

أولا : النظر فى مدى إمكانية تطبيق قواعد القيد الاختيارى فى جداول الناخبين وإتاحة آليات وتوقيتات مناسبة لها بما يسمح بقراءات موضوعية لنسب الاقبال ويسمح بوجود تأثير حقيقى لأصوات الجمعية الناخبة فى تشكيل المجالس النيابية مع الاستفادة من التجارب الدولية والبناء عليها .

ثانيا : دراسة أنماط وأشكال النظم الانتخابية المختلفة والعمل على الذهاب لشكل أكثر كفاءة وموضوعية فى التعبير عن إرادة الناخبين وتمثيل أكبر عدد ممكن من القوى السياسية الفاعلة داخل المجتمع، لاسيما بالنظر للتوصيات التى جرى عرضها خلال جلسات الحوار الوطنى والمتعلقة باقتراح تطبيق الانتخاب بنظام القوائم النسبية .

ثالثا : تطوير أطر وأشكال التمييز الإيجابى المعتمدة على النصوص الدستورية (٢٤٣ - ٢٤٤) والذهاب لأشكال أكثر كفاءة وتعزيز لتمثيل تلك الفئات بصورة عامة مع تحديد موعد نهائى للنصوص التمييزية والعودة للتنافسية العادلة والمفتوحة على قدم المساواة بين كافة المواطنين .

رابعا : العمل على الانتهاء من إقرار قانون الإدارة المحلية وسرعة تحديد موعد تنفيذى لإجراء انتخابات المجالس المحلية باعتبارها الإطار التشاركى الأوسع للتمثيل النيابى وإعداد وتأهيل الكوادر المجتمعية القادرة على القيام بالرقابة المجتمعية وتوفير الخبرات والكفاءات المؤهلة لخوض التنافسيات المرتبطة بالمجالس المركزية وذات الطابع القومى .

خامسا : تعديل قانون مجلس الشيوخ رقم (١٤١) لسنة ٢٠٢٠ بما يسمح بالذهاب لتقسيم جديد للدوائر الفردية فيما يتعلق بالنظام الفردى بحيث يجرى تقليص حجم الدوائر الانتخابية بما يعزز من ممكنات التنافسية وزيادة حجم وأنماط المشاركة العامة فى عمليات الترشح والتصويت .

سادسا : تعديل قانون مجلس النواب رقم (٤٦) لسنة ٢٠١٤ وتعديلاته بما يتيح دراسة واقتراح أشكال أكثر تناسبا لتقسيم الدوائر الانتخابية تتوافر فيها معايير عدالة التقسيم وتطابق أعداد المقاعد بعيدا عن حالة الشتات والتوسع الموجودة فى القانون القائم .

سابعا : العمل على تعزيز أطر المحفزات الداعمة للمشاركة المجتمعية العامة وتعزيز ثقة المواطنين فى تلك العمليات والتوجه للفئات والقطاعات الفئوية التى تعانى من العزوف عن المشاركة واستخدام الخطاب والأنشطة المناسبة للقيام بتلك المهمة مع بحث ممكنات الشراكة والتعاون مع منظمات المجتمع المدنى للقيام بتلك المهام والأدوار .

ثامنا : تشجيع دراسات رصد وتقييم عمليات المشاركة العامة وتحليل صورها وعملياتها، وذلك فى إطار توثيق تلك العمليات ورصد حالات التطور والحراك بما يسمح بالبناء عليها أو الاستفادة منها مستقبلا.

تاسعا: النظر فى التعديلات القانونية المطلوبة على قانون الهيئة الوطنية للانتخابات رقم (١٩٨) لسنة ٢٠١٧ بما يسمح باستمرار منظومة الاشراف القضائى على لجان الاقتراع الفردية وفق الرؤية التى تبناها الحوار الوطنى واستجاب لها رئيس الجمهورية .

عاشرا : قيام الهيئة الوطنية للانتخابات باختصاصاتها فيما يتعلق بتدريب وتأهيل العاملين المدنيين بالدولة لأعمال الإشراف وإدارة عمليات الاقتراع والفرز لدعم عمليات الاعتماد على عناصر الهيئات القضائية والذهاب نحو ممكنات إجراء الانتخابات فى كافة المحافظات فى توقيت واحد .

حادى عشر : العمل على تفعيل نص المادة (٦٨) من الدستور فيما يتعلق بإصدار قانون حرية اتاحة وتداول المعلومات وتدقيق مصادر المعلومات الوطنية ومؤسسات الإعلان عنها بما يخدم الباحثين والدارسين للحراك المجتمعى العام .

ثانى عشر. دعم مساحات الحرية العامة وأنشطتها المختلفة بما يستدعيه ذلك من تطوير للسياسات والتشريعات الوطنية المختلفة وفق الأكواد والمعايير الأممية وما تتضمنه الاستراتيجيات الوطنية وفى مقدمتها الاستراتيجية الوطنية لحقوق الانسان .

ولاحظت الدراسة وجود تفاوت واضح فى مؤشرات التصويت المرتبطة بنظامى الاقتراع اللذان يشكلان (معا) النظام الانتخابى الوطنى (الفردى . القوائم المغلقة) حيث ظهر ارتفاع كبير فى نسب بطلان الأصوات على نظام القوائم المغلقة قياسا بالنظام الفردى بما يعكس عدم الرضاء عن هذا النظام وتأثيراته على تشكيل المجلس النيابى خاصة مع ارتفاع أصوات عديدة خلال جلسات الحوار الوطنى تطالب بالذهاب لنظام القوائم النسبية باعتباره الأكفأ والأيسر فى ضمان تمثيل الأحزاب والقوى السياسية

وقالت إن نسبة الأصوات الباطلة على النظام الفردى فى الانتخابات الماضية بلغت (١٠,٨٤ ٪) من جملة الأصوات، فى حين بلغت فى القوائم المغلقة المطلقة (١٨,١٤٪) وهو ما يقارب ضعف النسبة للنظام الفردي، الأمر الذى يؤكد على ضرورة مراجعة طريقة هندسة النظام الانتخابى بما يتناسب مع رغبات وطموحات المواطنين وأيضا بما يعزز تمثيل القوى والروافد الفكرية والسياسية داخل المؤسسة النيابية .

ورصدت الدراسة تراجع مؤشرات التنافسية الانتخابية على المقاعد الانتخابية من (١٠,٣٤) مرشحا لكل مقعد نيابى فى انتخابات ٢٠١٥ إلى (٧,٩٨) مرشح فى انتخابات ٢٠٢٠. لكنها أكدت أن مؤشرات التحليل على أساس نوعى تبرز وجود حالة من الاهتمام والرغبة فى المشاركة العامة لدى بعض الفئات التى كانت تعانى مسبقا من التهميش أو التمييز الذى يرقى لدرجة الجرائم الانتخابية، وذلك بسبب الدعم الذى تحقق للنساء من ضمان حد أدنى مستدام للتمثيل وفقا للتعديلات الدستورية ٢٠١٩ وتخصيص نسبة لا تقل عن (ربع) إجمالى عضوية المجلس لصالحهم وهو ما عززته النتائج التصويتية المباشرة التى وصلت فى مجموعها لحصاد النساء لعدد (١٧٦) مقعدا فى مجلس النواب الحالى وبنسبة (٢٩,٨ ٪) كما رصدت الدراسة المعززات الإيجابية التى تحققت لصالح واحدة من الفئات المهمشة وهى الأقباط الذين عانوا لعقود من التهميش والاقصاء بل واستخدام الخطاب التمييزى والطائفى ضدهم فى حالات التنافسية الشديدة، حيث تضمن قانون مجلس النواب المعدل بالقانون (١٤٠) لسنة ٢٠٢٠ تخصيص عدد (ثلاثة) مقاعد للمرشحين من المسيحيين ضمن كل قائمة مخصص لها (٤٢) مقعد وتخصيص عدد (تسعة) مقاعد للمرشحين من المسيحيين ضمن كل قائمة مخصص لها (١٠٠) مقعد حيث بلغ عدد المرشحين المسيحيين فى مجلس ٢٠٢٠ (١٧٨) مرشحا بينهم (١٣٠) على المقاعد الفردية لتتكرر النتائج والتمثيل التاريخى بإجمالى (٣٧) مقعد كرقم ربما يتجاوز مجموع ما تحقق لصالح المسيحيين منذ برلمان ١٩٥٧ وحتى برلمان ٢٠١٠.

وأوضحت الدراسة أنه بالرغم من عدم امتداد الأثر التشريعى لتمثيل الفئات المختلفة ضمن مجلس الشيوخ لعدم النص على العمل بتلك النصوص فى شأن تشكيل المجلس فقد استمر التمثيل والمشاركة غير المسبوقة لصالح المسيحيين ووصولهم لرقم بالغ التمايز على المستوى العددى بوصول النواب الأقباط إلى (٢٤) عضوا بنسبة (٨ ٪) من إجمالى عضوية المجلس بداية من ترشيح (١٤) مسيحى ضمن القائمة الوطنية الموحدة من أجل مصر إضافة لفوز (٣) مرشحين على المقاعد الفردية وتضمين القرار الجمهورى للمعينين على (٧) مسيحيين .

أما فيما يتعلق بتمثيل النساء فقد رفعه قرار رئيس الجمهورية (٥٩٠) لسنة ٢٠٢٠ بتعيين (٢٠) سيدة إلى رفع نسبتهم إلى (١٤,٤ ٪) من إجمالى عضوية المجلس .

وفيما يتعلق بالمشاركة الشعبية المباشرة فى انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ ومع الوضع فى الاعتبار طبيعة التقسيم الإدارى والجغرافى لدوائر النظام الفردى والتى اعتمدت على اعتبار كل محافظة هى دائرة انتخابية متماسكة بما صعب بشدة من فرص التنافسية واقدام الأفراد على الترشح بالنظر للاتساع الهائل المكونات الدائرة واحتياجها لممكنات مالية يصعب توافرها لمعظم الراغبين فى المشاركة الأمر الذى انعكس على مؤشرات الاقبال والمشاركة العامة التى عكست محدودية واضحة عدديا ونسبيا حيث بلغ عدد المشاركين (٨,٩٥٩,٠٣٥) ناخبا بنسبة (١٤,٢٣ ٪) بما يحول الأمر إلى تحد يتوجب التعامل معه والعمل على معالجة مسبباته .



تقرير – هيباتيا موسى

اللواء سمير فرج: الوقفة أمام سفارة مصر فى تل أبيب ليست فلسطينية



فى تصريحات خاصة لـ "المشهد" ، قال اللواء سمير فرج الخبير الاستراتيجى والمستشار العسكرى إن الوقفة الاحتجاجية التى حدثت مؤخراً أمام سفارة مصر فى تل أبيب ليست فلسطينية حقيقية، والغريب فى الوقفة أن لم يكن هناك أى شعار ضد إسرائيل، لأنها ليست ضد إسرائيل ولكن ضد مصر، وتم تنظيمها بطريقة ممنهجة من قبل الإخوان المسلمين، ولو كانوا جادين لاحتجوا أمام وزارة الدفاع أو الكنيست فى إسرائيل، وليس فى تل أبيب ضد مصر، واعتبر الوقفة جزءا من تخطيط كامل لهدم استقرار مصر.

وتحدث اللواء فرج عن أبرز التحديات التى تواجهها مصر على الحدود، فقال إن الإخوان المسلمين يحاولون دوماً زعزعة الاستقرار، ولكن القوات المسلحة والشرطة مسيطرة تماماً على سيناء والحدود الغربية مع ليبيا، والجيش قادر على تأمين الحدود وحماية وطننا بكل قوة.

سألناه كيف تقاوم مصر الشائعات والأخبار الكاذبة على السوشيال ميديا ؟ فقال: نحن نعيش الآن فى عصر حروب الجيل الرابع والخامس، وهدف هذه الشائعات تقويض ثقة الشعب فى الدولة و نصيحتى للناس ألا يستمعوا للشائعات، وأى خبر يسمعوه لابد أن يتأكدوا من المصدر الرسمى للوزارة.

وأوضح اللواء سمير فرج أن المشاركة فى الانتخابات ضرورة وطنية والناس يجب عليهم الذهاب والتصويت بدل الشكوى ممن يمسك السلطة، مضيفا: هذه فرصتنا لنصنع مستقبل بلدنا ونقوى مؤسساتها الدستورية.

سألته المشهد: كيف ترى مستقبل مصر فى ظل الأوضاع الإقليمية المضطربة؟ أجاب: مصر هى الدولة المستقرة وسط صراعات المنطقة، تفتح أبوابها للاجئين وتضمن أمنها رغم التحديات فى ليبيا والسودان واليمن وسوريا، وربنا رزقنا بشعب واع وجيش قوى قادر على حماية الوطن.

وعن تأثير وجود دونالد ترامب على الأوضاع فى الشرق الأوسط، قال: ترامب هو الصديق الشخصى والمؤيد الكامل لرئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو، وفى حملاته الانتخابية كان الوحيد اللى وعد بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس وفعلاً نفذ وعده معه واعترف بضم الجولان وهى خطوة لم تقم بها أى دولة أخرى، إضافة إلى ذلك فإن دعمه لإسرائيل فى فترته الثانية مستمر بقوة، وهذا واضح جدا فى كل قراراته وسياساته

وعن موقف مصر من التحولات فى النظام الدولي، قال إن مصر تتبنى سياسة متزنة جداً، تتعاون مع روسيا والصين وأمريكا بنفس الوقت، و زيارة ماكرون للقاهرة كانت محطة مهمة، خصوصاً إنه أعلن دعمه لفلسطين، وهذا يعكس نجاح دبلوماسية مصر فى تعزيز علاقاتها الخارجية

كتبت: بسمة رمضان

المشهد
العدد 341 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م الموافق 18 صفر 1447 هـ

قالت العرب

"لا أحنُ إلى أي شيءٍ
فلا أمس يمضي ولا الغد يأتي
ولا حاضري يتقدّم / لا شيء يحدث لي!
ليتني حجر"
محمود درويش (1941 – 2008)

خمسون عامًا على التأميم.. دعوة لإحياء الوعى وتكريم إنسان القناة



اسامة ربيع



متحف قناة السويس



قناة السويس

في السادس والعشرين من يوليو من كل عام تحل ذكرى تأميم قناة السويس، لكنها العام القادم ستكون مختلفة؛ لأننا سنقف أمام اليوبيل الذهبى لقرار التأميم، مرور خمسين عامًا على ذلك اليوم الذى أعلن فيه جمال عبد الناصر إرادة المصريين للعالم كله. القناة ليست مجرد إنجاز تاريخى نحتفى به فى كتب التاريخ، لكنها إنجاز حي، شريان مائى نابض يمر فيه جزء كبيرٍ من تجارة العالم، يثبت كل يوم أن فى مصر رجالاً قادرين على الإدارة وتحقيق الإنجازات.

الاحتفال باليوبيل الذهبى فرصة لإحياء الوعى بقيمة هذا الشريان المائى وأهمية القرار الذى يعد نموذجًا فى صناعة القرار السياسي. هو أيضًا دعوة لإحياء روح الانتماء لدى أجيال لم تسمع عن تضحيات العمال والشهداء الذين ارتقت أرواحهم بفعل الأوبئة أو الجوع أو العطش وضربات الشمس، وربما لم يقرأوا يومًا كتابًا أو حتى فقرة فى منهج دراسى عن قناة السويس.

من الآن، يجب أن نبدأ الإعداد للاحتفالية، وأن نفكر فى عمل فنى مسلسل، فيلم أو مسرحية يحكى تاريخ القناة ويظهر حجم التضحيات. لقد تعرضت بعض الأعمال الفنية من قبل لتاريخ القناة، عام ١٩٧٨ أخرج على بدرخان فيلم "شفيقة ومتولى" تأليف صلاح جاهين وبطولة أحمد زكى وسعاد حسنى، وتناول الفيلم السخرة فى الحفر من خلال قصة متولى وشقيقته شفيقة. وهناك فيلم "ناصر ٥٦" الذى تناول قرار التأميم كأحد أعظم القرارات وأكثرها تأثيرًا، وفيلم "بورسعيد" الذى عرض بطولة شعب المدينة فى مواجهة العدوان الثلاثي، وفيلم "الباب المفتوح" عن قصة لطيفة الزيات، الذى تناول تاريخ مصر قبل ثورة يوليو وحتى العدوان الثلاثي. كما قدم الكاتب محفوظ عبد الرحمن مسلسل بوابة "الحلواني" الذى تناول معاناة المصريين فى الحفر خلال حكم الخديوى إسماعيل. وللاقتراب أكثر من الناس والأطفال، شارك الأراجواز فى المعركة بعمل فنى للفنان الراحل محمودٍ شكوكو، وسجلت الإذاعة المصرية مسلسلاً من ٦٠ حلقة بعنوان "عمار يا مصر" عن قصة القناة ومراحلها التاريخية، بالإضافة إلى عدد من الأفلام الوثائقية، منها قناة السويس بمناسبة مرور ١٣٠ عامًا على افتتاحها.

لكننا نتوقف ونسأل لماذا لا تُعرض هذه الأعمال الآن لإحياء الوعى وترسيخ الانتماء؟ الاحتفال باليوبيل الذهبى بعد ١٠ أشهر يتطلب العمل من الجميع. نريد بحثًا يسأل تلاميذ المدارس وطلاب الجامعات عن معرفتهم بالقناة وقرار التأميم، بالتزامن مع دراسة تحليل مضمون للمناهج لمعرفة ما تقدمه عن القناة تاريخًا وواقعًا وأهمية جغرافية واقتصادية.

منذ أيام، كنت فى زيارة لمحافظة الإسماعيلية ضمن وفد من جمعية كتاب البيئة وجمعية بيئة بلا حدود، وزرنا متحف قناة السويس بدعوة كريمة من الفريق أسامة ربيع، رئيس هيئة قناة السويس. اصطحبنا المرشد فى جولة شرح خلالها محتويات المتحف الذى افتُتح تجريبيًا فى ٢٠ مارس الماضي، فى ذكرى العاشر من رمضان. القاعات الاثنتا عشرة، التى تضم ألفى قطعة أثرية، كانت مبهرة للأطفال والشباب. الجداريات، والأفلام، والسرد المكتوب والمرئى لتاريخ القناة، أكدت مصرية فكرة القناة وأهمية موقعها وتضحيات المصريين الذين حفروا بأدوات بدائية فى ظروف قاسية. فى المتحف قاعة خاصة بقرار التأميم تضم وثائق ومقتنيات للرئيس عبد الناصر، وعروض تمثيلية للأحداث المهمة فى تاريخ القناة. يستحق المتحف أن يكون قبلة لرحلات المدارس والجامعات ليروا القناة ويتعرفوا على تاريخها.

قناة السويس واقع يقول إن فى مصر رجالاً قادرين على إدارة القناة وتحقيق الإنجازات. فى أغسطس ٢٠١٥ تم افتتاح قناة السويس الجديدة لزيادة القدرة الاستيعابية وتسهيل الملاحة، وفى مارس ٢٠٢١ واجهت القناة حادث جنوح السفينة إيفر جرين القادمة من الصين والمتجهة إلى هولندا، التى عطلت حركة الملاحة. لكن رجال القناة استطاعوا تعويمها بعد ستة أيام فقط، فى أزمة كان يتابعها العالم كله.

إنسان قناة السويس، الذى حفر وأمّم ونجح فى إدارتها وحفر قناة جديدة أو توسعة جديدة، يستحق أن تُكتب له قصيدة نتغنى بها، مثل قصيدة "إنسان السد العالي" التى جسد فيها عبد الرحمن الأبنودى معاناة العمال فى بناء السد وغربتهم وشوقهم للأهل وتحولات المجتمع المصرى فى الستينيات.

التأميم.. نموذج القرار السياسي في الوطن العربي

احتل قرار تأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦، الذى أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر، مكانة بارزة فى دراسات العلوم السياسية، وكان موضوعًا لرسائل ماجستير ودكتوراه وأبحاث متعددة. من أبرز هذه الأعمال ما ورد فى كتاب "كيف يصنع القرار فى الوطن العربي"، الصادر عام ١٩٨٥ عن مركز دراسات الوحدة العربية ضمن سلسلة "مكتبة المستقبلات العربية البديلة"، والذى تضمن أبحاث ومناقشات ندوة عُقدت فى القاهرة.



فى القسم الثانى من الكتاب، قدّم الدكتور محمد السيد سليم، أستاذ العلوم السياسية، دراسة بعنوان "قرار تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦: دراسة فى اتخاذ القرار القطري". فى مقدمة دراسته، أكد أن قرار التأميم يعد أحد أهم خمسة قرارات أثرت فى مسار التطور السياسى للوطن العربى فى النصف الثانى من القرن العشرين، إذ استعاد لمصر سيادتها على القناة بعد أن فقدتها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ومنحها السيطرة على جميع أرباحها بعد أن كانت حصتها لا تتجاوز ٧٪، كما غيّر من أنماط التفاعلات السياسية فى المنطقة.

حلل سليم القرار من جوانب متعددة: هيكل عملية اتخاذ القرار، دور عبد الناصر القيادي، نظام الاتصال داخل جهاز اتخاذ القرار، والسياق التاريخى الذى سبق التأميم. كما تناول مطالبات الحكومات المصرية السابقة بزيادة دور مصر فى إدارة القناة، والمفاوضات مع شركة قناة السويس، ومحاولات الشركة تمديد فترة الامتياز، وصولاً إلى تأثير ثورة يوليو ١٩٥٢ فى إعادة صياغة العلاقة مع الشركة.

أفردت الدراسة مساحة للسياق المباشر الذى مهّد للتأميم، والمتمثل فى سحب الولايات المتحدة وبريطانيا عرض تمويل مشروع السد العالي. وأوضح المؤلف أن عملية اتخاذ القرار تضمنت جمع معلومات عن المخاطر المتوقعة، مثل الغزو العسكري، وتجميد الأرصدة المصرية فى الخارج، وانسحاب المرشدين الأجانب. كما جرت دراسة بدائل التأميم قبل اتخاذ القرار النهائي.

جاء التنفيذ بسرية تامة، وأسند عبد الناصر مهمة إدارة عملية التأميم إلى المهندس محمود يونس، نظرًا لخبرته بالأعمال الهندسية لشركة القناة من خلال عمله فى مكتب القناة بمجلس الوزراء.

بهذا القرار، فتحت مصر صفحة جديدة من سيادتها الوطنية، وأرسلت رسالة قوية إلى العالم بأن القرارات الكبرى يمكن أن تُتخذ بإرادة سياسية واعية، مدعومة بحسابات دقيقة للسياق المحلى والدولي.

السخرة فى حفر قناة السويس.. وثائق تكشف مأساة ١٧٦ ألف عامل مصري

فى عام ٢٠٠٢ أصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب، ضمن سلسلة "تاريخ المصريين"، كتاب "السخرة فى حفر قناة السويس" للمؤرخ الراحل الدكتور عبد العزيز الشناوي، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة القاهرة. الكتاب فى أصله رسالة ماجستير نوقشت عام ١٩٤٨ بكلية الآداب تحت إشراف المؤرخ الكبير الدكتور شفيق غبريال، وتعد أهم عمل علمى تناول قضية السخرة فى حفر القناة، مستندًا إلى الوثائق والمضابط والمراسلات الرسمية.

يستعرض المؤلف، بالأرقام والشهادات، كيف دفعت مصر النصيب الأكبر من تكلفة تنفيذ المشروع من أرواح ودماء أبنائها، إذ كان يتم حشد ٢٠ ألف عامل شهريًا يُساقون إلى ساحات الحفر موثقين بالحبال، تاركين حقولهم ومصادر رزقهم. هذا الاستنزاف البشرى أدى إلى تدهور الزراعة وتراجع إنتاج القطن وأثر سلبًا على الوضع الاقتصادي.

يبدأ الكتاب بالوثيقة الأولى: عقد الامتياز لحفر قناة السويس فى ٣٠ نوفمبر ١٨٥٤، الذى حصل عليه فرديناند دليسبس من صديقه محمد سعيد باشا. الامتياز، المعروف بـ"الفرمان الأول"، منح الشركة الفرنسية صلاحيات واسعة، منها إنشاء وإدارة القناة لمدة ٩٩ عامًا من تاريخ افتتاحها للملاحة، والإعفاء الجمركى الكامل على المعدات، وحق استخراج المواد من المناجم والمحاجر مجانًا، فضلاً عن منح مساحات شاسعة فى منطقة القناة.



رصد المؤلف إصرار دليسبس على استمرار العمل بالسخرة حتى فى شهر رمضان، وبوتيرة متواصلة ليلًا نهارًا. ووفقًا للائحة التشغيل، كان أجر العامل يتراوح بين قرشين ونصف وثلاثة قروش يوميًا، وهو متوسط أجر الوقت، لكن دون مراعاة معاناة السفر الطويل إلى مواقع الحفر، وندرة مياه الشرب والطعام، وغياب سكن آمن للإقامة. وكانت الشركة تحتجز أجر أسبوعين من العمال خوفًا من هروبهم.

رغم ضآلة الأجور، تلاعبت الشركة فى صرفها، فيما كان العمال عرضة للإصابة بأوبئة التيفود، التيفوس، الجدرى والكوليرا، التى حصدت أرواح الآلاف. وتشير الإحصاءات التى أوردها الشناوى إلى أن ١٧٦ ألفًا و٧٨٠ عاملا شاركوا فى حفر القناة، لإزالة المرتفعات وحفر المجرى البحرى فى ظروف قاسية تكشف بوضوح توفر الإكراه فى العمل.

يخلص المؤلف إلى أن مشروع قناة السويس لم يكن فقط إنجازًا هندسيًا يربط البحرين الأحمر والمتوسط، بل كان أيضًا صفحة مأساوية فى تاريخ العمل القسرى فى مصر. ويوثق الكتاب، من خلال أرشيف نادر، حجم الاستغلال الذى مارسته الشركة الفرنسية بدعم من الامتيازات السياسية، على حساب حياة وكرامة العمال المصريين.

تقارير: نجوى طنطاوى

المساجدُ بين أرِسطو وبريخت

لماذا لا يتقبّل الله دعاءَ المسلمين؟

تعوّدنا، منذ قرون على أن نرفع أيدينا ونلهج بالدعاء إلى الله تعالى، لكي يهزم أعداءنا ويمزّق شملهم، ويفكّ أسْرانا ومَسْرانا، وأن يفتح علينا أبواب رزقه، ويزوّج الأعزب ويشفي المريض، ويرحم الموتى، ويكفينا شرّ الأشرار، ويولّي علينا خيارَنا، ويحفظ بلادنا، وأن يهدينا سواء السبيل والصراط المستقيم. والنتيجة أن الله تعالى لم يستجب للأكفّ المرفوعة وللألسن الملُحفة وللدموع الراجية، منذ عقود. وهذا طبيعي، لأن المولى، عزّ وجلّ، لن يقومَ مقام الناس ويغيّر أحوالهم، وهم جالسون، كسالى، يتّكلون على غيرهم ليبدّل حالهم، ولا يفعلون سوى الكلام. فالله سبحانه وتعالى، لن يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم، ومثلما تكونوا يولّىَ عليكم. فإن كانوا منافقين، عاجزين، وجبناء يخافون القيام بما يجب أن يقوموا به، فلماذا يرضى اللهُ عنهم ويحقّق دعاءهم؟ وكيف يقوم بدلا عنهم بفعل ذلك، وهو القادر على كل شيء! إن ذلك سيبقيهم عبيداً مُستلبين ضعفاء، خائفين من الذي يستلبهم ويقمعهم ويصادر حقوقهم. وواجبهم؛ أن يستنفروا قواهم ويعلوا أصواتهم ويجابهوا الظالم، بأجسادهم وإرادتهم، مهما كلّفهم ذلك. أليس قول كلمة حقّ أمام سلطان جائر هي أعلى مراتب الشهادة؟ ألم يقل الرسول، عليه وعلى آله الصلاة والسلام: مَن رأى منكم مُنكراً فليغيّره بيده، إلى آخر الحديث الشريف.. فلماذا نسي المسلمون التغيير بأيديهم، واستمرأوا التغيير بالدعاء المكرور الذليل الذي لا يعوّل عليه؟

إن الله تعالى لن يتقبّل دعاء الجموع والمُصلّين، لكنّه يقبل دعاء الأفراد المظلومين غير القادرين والمغلوب على أمرهم، الضحايا المعذورين، الذين لا يمتلكون وسيلةً للتغيير. أما آلاف وعشرات الآلاف والملايين من الداعين في المساجد، فَعليهم أن يخرجوا إلى الشوارع ويطالبوا الحاكم بردّ المظالم وإحقاق العدالة ونصرة المظلوم، وعندها سيعينهم الله تعالى. أما أن يطلبوا من الله فقط، فإن ذلك يريح الحاكم الذي يتفرّج، بسعادة، على أولئك الذين أعفوه من حقوقهم، والتجأوا إلى مَن لم يظلمهم. والحاكم يريد لهذه الآلاف أن تبقى داخل جدران المَساجد؛ تدعو وتبتهل وتبكي. ولسان حاله يقول للمسلمين: "إذا أردتم شيئا فاطلبوه من ربّكم، وليس منّي"! وهذا ما يكرّس الظلم ويعفي الظالم. فلو خرج الآلاف إلى الساحات والمفارق ورفعوا مطالبهم، كما يرفعونها لله، لتزلزل كرسيّ الحاكم، ولخاف على حُكمه، وفعَل الصوابَ، اتقاءً للتمرّد والسؤال الثقيل.

والحاكمُ عبر التاريخ مبتهجٌ بهذه المعادلة، التي وفّرَت للناس متنفّسا لغضبهم، عند كل صلاة جامعة! فيخرجون وقد طلبوا ما يريدون من خَالقهم، وكلّهم وَهْمٌ بأنهم قاموا بما عليهم القيام به! وهذا عين الخطيئة وقلب الخدعة، لأن كل واحد عليه أن يستردّ حقوقه ممَن أخذها منه، قهرا وغصْبا. ولن يرضى الله لأن يبقى المظلومُ عاجزا مُهانا ذليلا، يرجو من غير الظالم، لأن يعيد له حقوقه.

إن الحاكم يعرف جيداً خطورة ذلك، فيسارع إلى الطلبَ من شيوخ السلاطين لأن يزيدوا في الدعاء والنحيب والرجاء وسحّ الدموع والتضرّع للخالق القدير، لأن في ذلك تحقيقا لنظرية أرسطو الملعونة!

فأرسطو الحاذق؛ يؤمن أنه عبر الشفقة والخوف يتطهّر الإنسان (المُشاهد أو الدّاعي)، لأن هدف أرسطو هو التصالح مع الواقع بأحسن صوره، وبالتالي يدرك الجوهر على أساس أنه محاكاة. وأقصد: أن أرسطو هدفه التصالح، لأنه من خلال رؤية المسرحية، أو المشاركة بالدّعاء والتضرّع للسماء، يفرّغ ما بداخله من نقمة على الواقع ويخرج من المَشَاهد أو الصلاة(نظيفاً) ليس في خلجه أي بذور نقمة أو غضب على الواقع. وهذا برأيي، تصالح لا يدفع المُشاهد أو الدّاعي لأن يغيّر واقعه نحو الأحسن، لأن التراكمات التي ترسّخت في داخله زالت وذابت بفعل رؤية مسرحية رفْع الأكفّ لله تعالى، ذات النهاية السعيدة والمريحة! أي أن المسرحية (الدعاء) قامت بواسطة (التطهير) بعملية غسل لهذه التراكمات.. وهكذا تفعل الدعوات والدموع والتضرّع المنكسر. بمعنى أن الأدعية هي المعادل الموضوعي للمسرح الأرسطي، والقائم على أنّ وظيفته تتغيّا التكيّفية، وليس هناك من أساس لتثوير الواقع أو الاحتجاج ضده.



وإذا عقدنا مقارنة بين مسرح أرسطو طاليس وبين مسرح بروتولد بريخت، فإن موقف بريخت أكثر ثورية (إنسانية). فبريخت عاش في مجتمع رأسمالي، وأرسطو عاش في مجتمع الرقّ والعبودية، أي أنهما عاشا في مجتمع يعتريه التمايز الاجتماعي، ولكن بريخت رفض واقعه، وبالتالي عمل في مسرحياته أول ما عمل، إنه أخرج نظرية التغريب، التي تتضمن: منع حصول التطهير عند المشاهد، لأن التطهير في النهاية يعني إعطاء قدرة على التكيّف مع الواقع بأسمى شكل، وبالتالي يدخل في المحاكاة، وبدل ذلك يدعو إلى حقن المشاهد بالطاقة بدل تفريغها. وبريخت يريد من المشاهد أن يفكّر بالحدث من الخارج وليس أن يتمثّل الحدث، لكي يدفع المشاهد للتغيير ويشحنه تراكمياً، وهذا بالضبط يناقض "تطهير" أرسطو. فمسرح أرسطو عاطفي ومسرح بريخت فكري. بلغة أخرى؛ أرسطو يجعل المشاهد يتمثّل الحدث وبالتالي يتصالح مع الواقع ولا يعمل لتغييره. أما بريخت فإنه يجعل المشاهد يرى الحدث من الخارج، لا أن يتمثّله ويتصالح مع الواقع، بل يدفعه لتغييره. فمسرح أرسطو يؤدي إلى خلود الواقع، ومسرح بريخت يؤدي إلى تغييره (التجاوز)، وبالتأكيد فإن موقف بريخت أكثر شمولية ووعياً من موقف أرسطو. بمعنى أننا عندما نشاهد "مسرحية" تتفاعل فيها الأحداثٍ ثم تنتهي نهاية سعيدة، فإن المتفرّج يخرج راضياً، بعد أن تمّ حلّ المشكلات على المنصّة، دراميا، وكذلك يخرج المصلّي الذي دعا ربّه، فيخرج من المسجد مرتاحا! أما بريخت فيريد للمسرح أن يُعبّئ المتفرّج ويحقنه بالوعي والسخط والنقمة، ومن الجامع أن يشحن المصلّين بالوعي وبما يجب أن يفعلوه، دون تقديم حلّ جاهز نظريّ مريح، بقدر ما يطلب منهم أن يخرجوا إلى الشارع ويغيّروا هذا الواقع الظالم، بأيديهم. ما يعني أن على خطيب المسجد أن يضيء للمصلّي جوانب الحياة ويشير إلى مواطن الخلل والإجحاف، ويطلب من المُصلّين لأن يثوروا على ذلك، لا أن "يُنفّسهم" بالدعاء، وبأن الدعاء هو طمأنة لهم، لأنه رجاءٌ لله ووعدٌ منه، لكي يُبدّل الحال السيء إلى حال أفضل.

يعني؛ علينا أن نفهم بأن أداة التغيير هي الفعل، وليس الكلام. وإن كان دعاءً للمولى، عزّ وجل.

والدعاء وسيلة المؤمن للتضرع إلى الله تعالى، بعد أن يستنفذ العمل المطلوب، ويقومٍ بكلّ الأسباب، والإجابة على الأسئلة، عمليا وفعلاً، والإيمان بأنه وحده مالك الملك شرط للاستجابة، باعتباره الصمد القادر على الإسناد والتوفيق.

ويتمّ من خلال الدعاء إظهار الاعتماد الكامل عليه، سبحانه، في جميع الأمور، بعد أن لا تبقى ذريعة إلا وقمنا بسدّ ثغرتها.

وعلى الداعي أن يكون متصالحا مع الله نظيفا من الخطايا، ما وسعه ذلك، أو يرجو المغفرة بعد التوبة النصوحة ليتطهّر من الذنوب، ويعلم أنه سبحانه هو القادر على كل شيء، وأنه هو الغنيّ الحميد، وأنه الحكيم العليم، الذي دعانا للعمل:"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون". وأمَرَ لأن يكون الدعاء عملا، وليس كلاما وإجهاشا باللغة وترداداً دون فعل حقيقي ملموس.

الدعاء هو أن نبدّل الواقع بأيدينا، وليس بكلمات باكية عاجزة. فالله تعالى، لم يُجامل، حتى الأنبياء، حين فَرَضَ سُنَنه، فقال"اعملَوا، وأعدّوا"، ثم اطلبوا النصرة منه. ألم نقرأ ما قاله الله تعالى للمسلمين بعد معركتيَ "أُحُد وحُنَيْن"، بعد مخالفتهم لأوامره! وكيف نصرهم في "بَدْر"لأنهم أعدّوا واستعدّوا. أما أن لا تعدّوا ولا تعملوا.. وتطلبوا منه النصرة، فإنه، قطعا، لن يستجيب لكم. وإن شئتم فابقوا في جحيم الذلّ والهوان والاستلاب، لأنه من فعل أيديكم ومن خوفكم، أيها المسلمون، فغيّروه، أو اخرسوا.

تخيّلوا؛ لو خرج كلّ المصلّين من المساجد، إلى الشوارع، يهتفون ويُطالبون.. فهل سيبقى الحال على ما هو عليه، أم سيبدّلون الواقع ويغيّرون الحال؟

أجيبوا أيها الدّعاة! يا شيوخ السلاطين!

بقلم: المتوكل طه

المشهد
العدد 341 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 12أغسطس 2025 م الموافق 18صفر1447 هـ

قالت العرب
"وأنت تعد فطورك، فكر بغيرك... (لا تنس قوت الحمام)
وأنت تخوض حروبك، فكر بغيرك... (لا تنس من يطلبون السلام)
وأنت تسدد فاتورة الماء، فكر بغيرك...
(ثمة من يرضعون الغمام)

آلة تدمير ذاتى تحوّل الدولة إلى غنيمة والمواطن إلى ضحية!

خيوط الظل.. الحكم من وراء الستار!

مثل وحشٍ هجين يختفى فى دهاليز السلطة، تطفو «الدولة العميقة» (Deep State) كأخطر ظواهر المشهد السياسى المصرى الحديث، فهى ليست نظرية مؤامرة، بل كيان حقيقى تتداخل فيه الأذرع العسكرية والأمنية مع القضاء والإعلام والمال، لنسج خيوط «دولة موازية» تختبئ خلف واجهة الحكم الرسمي، هدفها؟ حماية امتيازات النخب العميقة وقمع أى تغيير يهدد هيمنتها المطلقة. وليس هذا هو كل السر؛ فتحالف الظلّ هذا يتعايش مع رأسمالية طفيلية – «الكومبرادور» (Comprador) – هم حيتان المال المحليين الذين يبيعون الوطن بمكيال الرأسمالية العالمية – وهما معاً يشكلان ثنائياً خبيثاً؛ فالدولة العميقة تمسك بمقاليد القوة، والكومبرادور يفتحون الأبواب أمام السياسات الدولية لتنفذ إلى شرايين مصر كالدواء الفاسد!



كان لنا أساتذة يُدركون مكامن الخطر، ويحذرون من تزاوج تلك السلطة الخفية مع رأس المال الطفيلى (الكومبرادور)، حتى لا تتحول البلاد إلى ساحة نهب منظم. فهذا التحالف الخطير يخلق دوامة فساد لا تنتهي؛ فالسلطة تمنح الكومبرادور احتكارات اقتصادية (مشروعات البنية التحتية، صفقات الخصخصة) فى مقابل تمويل شبكات الهيمنة، والمقايضة بمنح الشرعية الدولية للنظام فى مقابل فتح الباب للسياسات الدولية (مثل شروط صندوق النقد) التى تزيد الفقر عبر رفع الأسعار وإلغاء الدعم.. والنتيجة؟ ثروات تتركز فى أيدى أقلية فاسدة، وشعب يُحاصر بين مطرقة القمع (أجهزة الدولة العميقة) وسندان الجوع (سياسات الكومبرادور)، ووطن يُباع قطعة – قطعة تحت شعارات زائفة مثل «الإصلاح الاقتصادي»!

هذه المعادلة ليست فساداً عادياً... بل آلة تدمير ذاتى تحوّل الدولة إلى غنيمة، والمواطن إلى ضحية! إنها ليست لعبة أو سلطة عابرة، هى ماكينة هيمنة معقدة، تُعيد تشكيل مصير البلاد من خلف الكواليس، وفك الشفرة يتطلب الغوص فى أعماق هذا التحالف الأسود، حيث تُبادل النخب الحديدية والوسطاء الاقتصاديون الأدوار. والشعب هو من يدفع الثمن.

١.تشريح تحالف الظلّ الذى يلتهم مصر!

تختفى خلف واجهة الحكم الرسمى شبكة عنكبوتية خطيرة تسمى «الدولة العميقة» – ليست خيالاً بل حقيقة مروعة، فما هي؟ هى شبكة غير مرئية من جنرالات الجيش، رجال المخابرات والأمن، سادات القضاة، وإمبراطوريات الإعلام، تنسج خيوطها فى دهاليز السلطة، وقد نشأ مصطلح «الدولة العميقة» (derin devlet) فى تركيا، لفضح تحالف العسكريين والمخابرات والمافيا لحماية العلمانية الكمالية، وفى مصر تحول المصطلح إلى «وحش ثلاثى الرؤوس»؛ إرادة سياسية موازية تقاوم الديمقراطية، وتحمى امتيازات النخب، وتسحق أى صوت معارض، أما شريكه الخطر فهم طبقة الرأسمالية الطفيلية، «الكومبرادور»؛ وهم ليسوا مجرد طبقة برجوازية فقط، إنهم وكلاء الرأسمالية العالمية داخل مصر، كبار رجال الأعمال الذين يبيعون الوطن بالمال لأن الرأسمالية هى وطنهم الواقعي، فيساهمون فى استنزاف موارد البلاد لصالح القوى الخارجية، من خلال مهمتهم الأولى، وهى ضمان أمن المصالح الخارجية وتسهيل اختراق السياسات الدولية كسياسات البنك الدولى وصندوق النقد – من تحرير الأسعار إلى خصخصة المياه – مقابل عمولات فاحشة تُدفن فى بنوك الغرب. والمعضلة الأكبر، عندما يتزاوج «تنين السلطة» (الدولة العميقة) مع «أفعى المال» (الكومبرادور)، تتحول مصر إلى ساحة مفتوحة للنهب؛ فالأول يوفر التحصين الحديدى من قمع الاحتجاجات، وتزوير الانتخابات، وإسكات الصحافة، والثانى يقدم الرشاوى الذهبية من تمويل شبكات الفساد، وشراء الذمم والشرعية الدولية، وتمويل ترويج الأكاذيب عبر الإعلام.. ومعاً يصنعان «تحالف الهيمنة» الذى يحول أحلام المصريين فى الديمقراطية والعدالة إلى سراب.

هذه ليست لعبة نظرية... إنها آلة سحق وطنية تعمل منذ عقود، فهل تتكشف أوراقها قبل أن تلتهم آخر أمل؟

٢. تشريح بنية الدولة العميقة المصرية وآليات عملها

الركائز الهيكلية للدولة العميقة هى ثلاث ركائز رئيسية، الأولى هى العسكرة المؤسسية، التى تهيمن على ٤٠٪ من الاقتصاد عبر شركات مثل «العاصمة الإدارية» و«المقاولون العرب»، مما يمنحها استقلالاً مالياً وسياسياً عن الحكومات المدنية، وتدريب وتوظيف الكثير من طليعة الشباب المصرى (شباب وفتيات) عبر برامج «تأهيل قيادي» تزرع الولاء المطلق، فى الأكاديميات والكليات العسكرية طالت حتى رجال القضاء وأئمة المساجد والتمثيل الدبلوماسي، ووثيقة السلمى (٢٠١١) التى أعفت موازنة الجيش من الرقابة البرلمانية تجسد هذه الهيمنة..

الركيزة الثانية هى الشبكات البيروقراطية، حيث تضم كوادر إدارية راسخة فى الجهاز الحكومى تتبع «قواعد غير رسمية» فى التعيينات والترقيات، مما يضمن استمرار السياسات رغم تغير الحكومات، وبعد ثورة ٢٠١١، تعمدت هذه الشبكات تعطيل العمل عبر التواكل فى تنفيذ القرارات..

أما الركيزة الثالثة فهى الأدوات القمعية والإعلامية وتشمل؛ الأجهزة الأمنية التى تستخدم الترهيب أو العنف المباشر أو التواطؤ مع البلطجية، والقضاء الذي يشرعن إجراءات الدولة العميقة، كما فى حل مجلس الشعب ٢٠١٢، والإعلام الذى يروج لعقيدة الخطر الإسلامى أو لنظرية المؤامرة الخارجية لتبرير استمرار هيمنة العسكريين، مستخدماً فى بعض الأحيان أساليب التشويه الأخلاقي.

والآليات الوظيفية للدولة العميقة تكمن فى أمرين، الأول هو التلاعب بالانتخابات، عبر التحكم فى اللجان الانتخابية وتوجيه النتائج لصالح مرشحى الدولة العميقة، أما الثانى فهو اختطاف الثورات الشعبية كما حدث بعد ٢٠١١، حيث حوّل المجلس العسكرى الثورة إلى «فترة انتقالية» تحافظ على الامتيازات القديمة، وتمنحها فرصة كبيرة لتسوية أمورها..

٣.الكومبرادور: الوجه الاقتصادى للتبعية

يقوم دور الكومبرادور على ثلاث وظائف أساسية؛ الأولى، الوساطة الاقتصادية من كبار رجال الأعمال (مثل أولئك المتحالفين مع جهاز الصناعات العسكرية) يبرمون صفقات مع شركات متعددة الجنسيات، فهم ليسوا رجال أعمال عاديين، هم سماسرة عالميون وغالباً صفقاتهم تكون بضمانات حكومية مجحفة، مثل خصخصة الموانئ والطاقة بأسعار زهيدة، مع ضمانات حكومية (إعفاءات ضريبية ٢٠ عاماً)، وعمولات تُحوّل إلى جزر فيرجن.. بينما يدفع الشعب فاتورة الخيانة.

والوظيفة الثانية، تمويل شبكات الهيمنة، بعمليات غسيل أموال سياسية من تمويل الحملات الانتخابية وشراء منصات إعلامية لتلميع مرشحى الدولة العميقة، مقابل حصولهم على احتكارات ذهبية وامتيازات ضريبية وعقود حصرية.

والوظيفة الثالثة، هى شرعنة التبعية، بغسل أدمغة الجماهير والترويج لسياسات الليبرالية الجديدة (خصخصة الخدمات، تقليص الدعم)، وتحويل النهب إلى واجب وطنى مقدس، تحت شعارات مثل «الإصلاح الاقتصادى لتقليل العجز» فى حين ترتفع أسعار الدواء، ويتم إلغاء الدعم، وشعار «جذب الاستثمارات لتنمية البنية التحتية» فى حين يرتفع مؤشر الفقر، وتُحول ٧٨٪ من أرباح المشروعات للخارج، والخيار أمام الشعب إما الخصخصة أوالإفلاس فى حين الخزانة تسرق علنًا.

والمرعب هنا، أن الكومبرادور ليسوا رجال أعمال تحديدًا، بل هم وكلاء عالميون لصالح اقتصادات وسياسات عالمية، استطاعوا تحويل الجيش المصرى من حام للوطن إلى شركة مساهمة، وغيّروا لقب مصر من «أم الدنيا» إلى «أرض العبيد» حيث صنعوا دولة يملك فيها ١٪ من السكان ثروة سائر سكان الدولة! فمَثلهم كمثل دبّابير سامة، يبنون خلاياهم فى جسد الوطن، ويُطعمون يرقاتهم من لحم الشعب.

٤. تأثير التحالف على السياسات المصرية

السياسات الاقتصادية تسير وفق معادلة منح رجال الأعمال عقوداً خيالية بالمليارات (مشروعات البنية التحتية، طرق، كباري، مدن جديدة)، وهم يقدمون التمويل والدعم الإعلامى للنظام، والتغذية المشبعة لشبكات الفساد، والنتائج؛ اقتصاد ريعى يعتمد على ٧٠٪ قروض دولية (صندوق النقد) والعقارات الفاخرة للصفوة، متجاهلاً القطاعات الإنتاجية، وتفاوت صارخ حيث ٦٠٪ من المصريين يعيشون حول أو تحت خط الفقر، ويعيش ٣٥٪ منهم فى ظل الستر، بينما يبدأ تركيز الثروة فى أيدى ٤٪، ويتحكم أقل من ١٪ من السكان فى مصائر الثروة القومية.

اما السياسات الأمنية، فتستخدم الدولة العميقة خطاباً أمنياً يصنع الأعداء من عقيدة العدو المزدوج، حيث يجمع بين؛ تهديد الإسلام السياسى كخطر وجودي، ووهم المؤامرة الخارجية ككل الاحتجاجات مدفوعة بأجندات أجنبية! لخلق ذريعة لقمع المجتمع المدنى تحت غطاء «الحفاظ على الأمن القومي»، ومن آليات التنفيذ تدريب أجهزة الدولة (الجامعات، النقابات، الهيئات) على ثقافة العسكرة من الانضباط الأمني، وتوظيف البلطجية كأدوات لقمع الاحتجاجات، تحت سمع الشرطة.

بينما سياسات السيادة وصنع القرار الخارجي، فالتبعية للغرب، وتحالف الدولة العميقة والكومبرادور يضمن الحفاظ على معاهدة كامب ديفيد رغم انتهاكات إسرائيل، ودعم السياسات الأمريكية فى المنطقة، ومقايضة السيادة بالدعم بالقبول بشروط صندوق النقد الدولى (رفع الدعم، تحرير سعر الصرف) مقابل الحصول على قروض تستخدم كليًا لتعزيز تحالف الظل والأجهزة القمعية.

تحالف الظل ليس سياسةً.. بل طاحونة بشرية، تطحن أحلام الشباب بين أحجار القروض الدولية ورفع الأسعار، وتحوّل الوطن إلى ساحة مزاد على تُباع فيها القضايا الوطنية بأرخص الأثمان، وتصنع نظاماً أقسى من الاستعمار، يسرق الثروات.. ويقتل الأمل! والسؤال المحرم هو متى يدرك المصريون أن العدو الحقيقى لا الذى يعارض سياسات النظام، بل الذى يحمل صكوك البنوك فى القاهرة؟

٥. رحلة السرطان الذى أكل مصر! الدولة العميقة المعاصرة

ثورة ١٩٥٢ أسست لنموذج «دولة الضباط»، حيث ركزت السلطة فى يد العسكريين، وأخضعت الاقتصاد لسيطرة المؤسسة العسكرية عبر سياسة التأميم، وشكلت فيما بعد نواة رأسمالية الدولة، وكان الجرح الأول تحويل الجيش من واجبه المقدس نحو الوطن إلى ماكينة السلطة! ثم كان عصر مبارك (١٩٨١-٢٠١١) فاكتملت فيه ثلاثية الهيمنة؛ المؤسسة العسكرية وسيطرت على الاقتصاد عبر شبكة من الشركات، وبدأت سيطرة الكومبرادور حيث نمت طبقة رجال الأعمال المتحالفة مع جمال مبارك (مثل أحمد عز) وتمت أكبر صفقات البيع البخس للقطاع العام، وتطورت الأجهزة الأمنية وتوسعت صلاحياتها بعد قانون الطوارئ، أما بعد ٢٠١١، فكشفت الثورة عن عمق الدولة العميقة حين أطاح المجلس العسكرى بحكم الإخوان عبر تحالف أجهزة الدولة السيادية مع الكومبرادور (تمويل حملة تمرد) والقضاء (شرعنة الانقلاب)، وأعادت التعديلات الدستورية (٢٠١٩) وصاية الجيش على النظام السياسي.

وهنا نتساءل لماذا ما بدأ كثورة ضد الاستعمار تحول إلى قمع داخلى أقسى من الاستعمار ذاته؟ ولماذا كل ثورة فى مصر تلد ديكتاتورية أفظع من سابقتها؟ هذه ليست تأملات تاريخية.. إنها كشف حساب دموى يفضح كيف تتحول الأحلام إلى كوابيس!

٦. إشكاليات الشرعية والتحرر

تكشف الدولة العميقة تناقضاً جوهرياً فى مفهوم الدولة الحديثة؛ بين الشرعية الرسمية (الدستور، الانتخابات) والشرعية الفعلية (القوة الغاشمة)، وفى مصر يظهر هذا فى تزييف الإرادة الشعبية عبر آليات «الديمقراطية المسيطر عليها»، مما يفسر أزمة الشرعية المستمرة، بينما التحرر من الهيمنة المزدوجة أو تحالف الظل يتطلب فضح التواطؤ بين الكومبرادور والعولمة المفترسة، كما فعلت حركات ما بعد الاستعمار، ومقاومة الاختراق عبر مشروع وطنى يعيد توطين الاقتصاد ويبنى مؤسسات ديمقراطية حقيقية، وتجاوز الثنائيات الزائفة مثل «الإسلامى مقابل العلماني»، الذى تستغله الدولة العميقة لتحويل الصراع من مجابهة الفساد إلى صراع هويات، ومن الدروس المستفادة من

تجربة أردوغان فى تركيا ٢٠٠٧، تثبت أن تفكيك الدولة العميقة ممكن، لكنه يتطلب تحالفاً شعبياً عريضاً، وإصلاحاً مؤسسياً جذرياً، وقطع العلاقة مع التبعية الدولية..

الخاتمة: نحو تشريح تحرري

الدولة العميقة والكومبرادور فى مصر ليسا مجرد «شبكات فاسدة»، بل هما آلية هيكلية لاستمرار التبعية واستنزاف الثروات، وتحالفهما ينتج نظاماً هجيناً يجمع بين القمع السياسى والنهب الاقتصادي، مع إضفاء الشرعية عبر خطاب أمنى معاد للديمقراطية، والخروج من هذا المأزق يتطلب أكثر من تغيير حكومات؛ فهو يحتاج إلى ثورة ثقافية توافقية تعيد تعريف مفهوم السيادة، وإرادة سياسية تقطع حلقات التبعية الدولية، ومشروع تنموى يحول مصر من دولة ريعية إلى وطن منتج لأبنائه، مع ضرورة وجود التوافق الوطنى فغيابه سيؤدى إلى واحد من سيناريوين: إما إطالة أمد المعركة، أو تحالف الرئيس مع الدولة العميقة ضد حلفاء الثورة، وهنا يكمن التحدى الأكبر لمستقبل مصر.



> نحتاج ثورة ثقافية توافقية تعيد تعريف مفهوم السيادة وإرادة سياسية تقطع حلقات التبعية الدولية ومشروع تنموى يحول مصر إلى وطن منتج لأبنائه



بقلم: أحمد حمدى درويش

رشقة أفكار

الغل المصري.. ينبت فى قلوب ميتة!



محمود الشربيني

قبل أن نقرأ:

على هامش تفشى حالة « الغل» التى نراها بأم أعيننا كل الوقت: فى الشارع.. فى المؤسسات.. فى العمل . فى القطارات. على البلاجات.. نراها فى نظرات عيون «بتطق شرار»..فى عدم اكتراث الناس أثناء المرور بجوارك.. هذا يخبطك من الأمام، أو يلوشك من الخلف.. وثالث يزقك .. أو يتجاوزك حتى أنك قد تسقط أرضا ، فيدهسك المارة بلا هوادة أو اكتراث، ومن دون أن «تصعب حالتك على الكافر حتى»!(معرفش ليه الكافر؟!)

ما الغريب فى الأمر؟! هذا حال شارعنا الجديد.. العصري.. ابن التقدم والتطور والإنترنت (أو الانتر- زفت). لا أحد يحدثنا عن كتاب الدكتور جلال أمين «ماذا حدث للمصريين».. فالواقع أصبح أسخن .. وتجاوز الماضى .. كل الماضى من سنين.

انظر لحالك .. وانظر لحالى ولننظر معا لحالنا جميعا.. هل نحن هؤلاء المصريين الذين كنا نشتهر بأننا أولاد نكتة .. ساخرون حتى النخاع .. إذا لم يجدوا من – وما – يسخرون منه يسخرون من أنفسهم؟!

«طيب هل صليت على النبى اليوم؟»!

السؤال الأهم من ذلك العبث هو: هل شاهدت يا «مؤمن» كم «الغل» غير الطبيعى الذى يظهر تباعا وباستمرار فى سلوك وتصرفات وأفكار ونظرات وحركات أجسام الناس فى مصر فى السنوات.. بل فى الأشهر القليلة الأخيرة؟!

العنف ظاهرة عالمية.. تجد برنامجا يتحدث فيه نجوم سياسة ومجتمع وفجأة تتحول اللباقة إلى أحذية تتطاير فى الهواء.. ولكمات تتسلل من الأيدى إلى الأجسام والوجوه.. مع شتائم «من اللى قلبك بحبها» (طبعا هى جملة تعتبر نوعا من المبالغة الكاذبة جدا .. جدا، فليست هناك شتائم يحبها القلب. أى قلب سوى القلوب المريضة).

مع صراع الفضائيات حدث هذا على قناة الجزيرة أولا، ثم انتقل إلى فضائيات «الأفسال».. التافهين.. المقلدين.. ووصل الأمر إلينا ، فتبادلنا الشتائم مع الجميع: المستشار تركى والمستشار مرتضي.. ممدوح عباس. . الخطيب .. مصطفى يونس .. مجدى « متتساش الجول الذى احرزه فى كأس العالم» .. ولايزال الضرب والشتيمة يعملان بشكل أو بآخر فى مجالات مختلفة!

الذى ينبغى ملاحظته هنا هو تحولنا من تلك اللحظة الحضارية التى رصدها يوسف ادريس ذات مرة فى شهادته على العصر (أدلى بها للاذاعى الكبير عمر بطيشة).. كان ادريس يتحدث عن الخناقة الحضارية بين المصريين. والتى يلجأ فيها الطرفان إلى رفع الصوت والزعيق، وقول كلام مرسل من عينة «والله لاوريك».. «انت مبتفهمش» .. «طب تعالى لى بس وأنا أفرجك».. ومع زعقة من هنا وشخطة من هناك يتكهرب المتفرجون.. ويتدخلون للتهدئة . فيأخذ شخص أحد المتخانقين بعيدا ليطيب خاطره.. وبالتالى يطيب خاطر الآخر، وتنتهى الخناقة الحضارية. التى يحرص طرفاها على عدم إيذاء الاخر ولو بكلمة (الكلام أصله بيلزق كما تعلمنا فى ريفنا زمان) ومادام لم يحدث أى تجاوز، فالخناقة الحضارية تنتهى ..وإلا !

الآن لا .. لا يوجد هذا الكلام.. المصريون أصبحوا بالملايين فى غياب تام للدكاترة – كبار مشخصاتية الأمراض الإجتماعية – أنور عبد الملك و سامية الساعاتى ومحمد خليفة وسيد عويس وعلى فهمى وسيد ياسين .. وحتى مراد وهبه انشغل أكثر بالتسامح الثقافي.. على حساب التنوير الاجتماعي. بقى نبيل عبد الفتاح وحده راصدا المتغيرات العاصفة التى تمكنت من المجتمع المصري.. لكنى أظن أنه لم يقترب بعد من لحظة «الغل» بنوعيه الشعبى والرسمى .. العنف الذى يجتاح أو يتضمن افكار وثقافات وسلوكيات قطاعات عديدة من المصريين.. وفيه يسب الدين وتبرز الأسلحة والمطاوى والسنج والشوم والأسياخ الحديدية!.

«الغل النظامي.. أو الرسمى .. أو القانوني.. «بتنا نشاهده علنا.. ومن وحى لحظاته المريرة المتكررة فى حياة شعبنا المعلوم المكلوم المتعب المهدور كرامته، تجده فى تصريحات غريبة لمحافظ يتصور أنه حاكم بأمره، فيأمر ناظر مدرسة بأن يخلع نظارته الطبية من على عينيه متوهما أنها نظارة «عياقة « و»منجهة « و»منظرة «على خلق الله .. ثم يشاء الله أن يفضحه، عندما يتهمه بأنه اختار لنفسه فى المدرسة مقرا شاسعا لمكتبه.. ثم يتبين أن المدراء لايختارون مكاتبهم.. وإنما الوزارة.. لأنها تعد لهم فيها تجهيزات معينة! لانعرف ماذا حدث للمدير، وهل وقع له رد فعل كزميله الذى راح سابقا ضحية إهانة – أو غل – محافظ آخر أيضا ؟

مشهد الغل الذى شاهدته مصر كلها بالأمس وأنبأ عن متغيرات عاصفة، كان يتمثل فى تلك اللكمات الساحقة الماحقة المتكررة . من جانب ضابط لسايس جراح القضاة.

لم يكتف «الضارب باللكميات بلكامية واحدة او اتنين أو ثلاثة « ربما وجدها فرصة ليثبت أنه قادر مثل سلفستر ستالونى – فى فيلم كريد – على إثبات أنه لايقل قدرة عنه فى الملاكمة ولو كانت فى الشارع.. أمام نادى من أندية القضاة ؟!

كيف لم يمنع الملاكم «الضريبة» نفسه من الإفراط فى هذا الغل؟ هل هو مكبوت فى بيته أو فى عمله فوجدها فرصة سانحة للتنفيس عن الغل الكامن بداخله؟! لم يكتف بلكمة واحدة وانما تعددت اللكمات وطارد بها السايس من الشارع إلى الرصيف.. ولم يقل له أحد إنت فين؟! وماذا تفعل؟! أحدهم انشغل بتوثيق الحادث الظالم المربع الفظيع، وترك السايس يتلقى علبة ساخنة نصفها كبسطاء بقولنا :» ما أكلهاش حرامى فى جامع»!!

● الغل فى المجتمع المصرى أصبح مادة يومية تمارس بكل غضب وجنون.. وبسبب هذا التحول الرهيب فى الإيذاء والتعبير عن الغضب .. لم يعد ممكنا أن يحدث ماكان يحدث سابقا من الكتاب الكبار! كتاب الأعمدة اليومية الفطاحل ..زمان .. زمان أوي..زمان جدا .. كانوا يستصعبون الكتابة اليومية.. يتهيبونها ويحاولون الفكاك منها ..احتراما للكتابة.. وأيضا لأن القضايا العامة زمان .. كانت تشبه قماشة محدودة التنوع .. بل فقيرة جدا خلافا لهذه الأيام .. مساحة الأفكار الجديدة والمتميزة والجذابة قليلة فى الماضى مقارنة بهذه الأيام . القماشة واسعة جدا. ومليئة بالجديد والجذاب و العميق. بل وبكل أسف وحزن . المهين ..كل لحظة..

فى الماضى الكتاب الكبار كانوا يخشون ملل القراء. ويتحسبون من سقوطهم فى فخ التكرار. انتهت هذه المخاوف الآن، الموضوعات والقضايا بالجملة.. كل لحظة هناك كارثة تدمر كرامة هذا الشعب .. الآن: الضابط يمكنه أن يصبح ملاكما .. أو بلطجيا، يضرب الناس ويركلهم ويصفعهم بلا توقف وبلا أدنى اعتبار لشيء..

الآن: الفنان يصفع المعجب .. الآن: البلطجى يقطع رأس الغريم بالسيف ويدور بها فى الشارع علنا. الآن : الشبيحة واللى بايعين دمهم يهوون بالسنج والأسلحة على رؤوس الناس سواء جيرانهم أو غيرهم.. بكل قسوة وبكل خسة .. وبكل نظرات الحقد والغل.. أنهم ليسوا فى مواقع تتيح لهم ممارسة الغل النظامي.. القانوني، ولا تجد شرطيا واحدا يمكنه أن يقوم بدوره فى ضبط المجرمين! الان: الوزير يزور أوراق تعيينه .. الآن الوزير يهين المرضى لأنهم لم يشكروا الدولة لانها تعالجهم . الآن الوزير يقول الطرق كويسة لكن ضحاياها وشهداءها المصريون دماؤهم على طرق الموت «همه اللى مبيعرفوش يركبوا المواصلات»!!!!!

– شعب وجد من يحنو (يهنو عليه فى الحقيقة) عليه..للاسف الشديد!!

كيف لولى أمر فى هذا الشعب ألا تأخذه رحمة بالناس، فيحزن لحزنهم ويشاركهم همهم العارم .. وعلى الأقل يعتذر لهم!

لو كانت لنا قيمة حقيقية كبشر لذهبنا إلى بيت السايس الذى فضح ضربا وإهانة واعتذرنا له. هذا اقل ما يجب!

بعد أن قرأتم :

من نحن فعلا؟! هل نحن المصريون»بتوع زمان فعلا»؟ هل نستطيع ترميم وجبر خواطر الناس، أم سنترك لغة السنج والمطاوى والغل الشديد تتفتح كل يوم حتى تغلق حدائق الزهور والورود عندنا، وتفتح أبواب جهنم أمام كل شيطان رجيم ..ربما يملك بعض السلطة والسطوة والقوة والمال .. أو لديه فقط غل وقلب ميت؟!

المشهد
العدد 341 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 12أغسطس 2025 م الموافق 18صفر1447 هـ

قالت العرب

وأنت تعود الي البيت، بيتك، فكر بغيرك...
(لا تنس شعب الخيام)
وأنت تنام وتحصي الكواكب، فكر بغيرك...
(ثمة من لم يجد حيزا للمنام)
وأنت تفكر بالآخرين البعيدين، فكر بنفسك...
(قل: ليتني شمعة في الظلام)

ما وراء الوقفة الاحتجاجية أمام السفارة المصرية فى تل أبيب

الإخوان المسلمون والترتيبات الإقليمية بعد حرب غزة

أثارت المظاهرة التى نظمتها الحركة الإسلامية فى إسرائيل، أمام السفارة المصرية فى تل أبيب يوم الخميس (٣١ يوليو)، شبهات فيما يخص الغرض الحقيقى لمنظميها، ذلك أن اختيار الجهة الداعية للمظاهرة، وهى اتحاد أئمة المساجد فى الوسط العربى فى إسرائيل، أن تكون المظاهرة أمام السفارة المصرية يشى بتحميل مصر وحكومتها المسؤولية عن المجاعة فى قطاع غزة، لاسيما أن المظاهرة جاءت فى توقيت شهد تنظيم عدة مظاهرات ووقفات احتجاجية أمام مقار السفارات المصرية فى عدة عواصم أوروبية، الأمر الذى دفع منتقدى المظاهرات إلى اتهام منظمى هذه المظاهرات بأن من بين أهدافهم إعفاءً إسرائيل من المسؤولية عن الحصار المفروض على القطاع. ولم تغير مشاركة شخصيات مناهضة لإسرائيل، من فلسطينى ١٩٤٨، مثل الشيخ رائد صلاح والشيخ كمال الخطيب ، هذه الاتهامات.



مظاهرة السفارة ويشارك فيها قياديون بينهم الشيخ رائد صلاح والشيخ كمال الخطيب



مظاهرة السفارة



صورة تذكارية مع جنود الاحتلال امام سفارة مصر

ولا يمكن إنكار مسؤولية إسرائيل والولايات المتحدة الأساسية والمباشرة عن الكارثة الإنسانية فى غزة والتى تطورت فى سياق حرب الإبادة والتهجير والتجويع التى تشنها إسرائيل فى أعقاب هجوم السابع من أكتوبر ٢٠٢٣، وهذه حقيقة يعلمها العالم كله، وتعلمها أيضًا قوى فى الوسطين اليهودى والعربى داخل إسرائيل، نظمت مؤخرا، مظاهرات ضد حكومة بنيامين نتنياهو وضد السفارة الأمريكية فى تل أبيب احتجاجًا على تشديد الاحتلال الإسرائيلى الخناق والحصار على القطاع، وإصراره على إغلاق معبر رفح من الجانب الفلسطينى للضغط على حماس لإطلاق سراح الرهائن والقبول بشروط إسرائيل لوقف الحرب، ومسؤوليته عن الفوضى فى القطاع لمنع وصول المساعدات إلى سكان غزة الجائعين، من خلال جماعات مسلحة تسطو على شاحنات المساعدات التى تدخل من المعابر الإسرائيلية.

وبسبب الانتماءات السياسية لمنظمى المظاهرة أمام سفارة مصر، اتهمت وسائل الإعلام المصرية جماعة الإخوان المسلمين بالوقوف وراء المظاهرة التى نظمت فى حماية الشرطة الإسرائيلية للتشهير بمصر ومواقفها. لكن المظاهرة وتوقيتها والملابسات المحيطة بها، تشير إلى أن لمنظميها ومن يقفون وراءهم أهدافا تتجاوز التشهير بمصر وقيادتها أو إعفاء إسرائيل من المسؤولية، وتتصل برغبة الجماعة فى توسيع هامش المناورة السياسية وإيجاد مساحة لها فى الترتيبات الإقليمية بعد حرب غزة، خصوصاً إذا ما ربطنا بين هذه المظاهرة وتحركات القيادة السورية الجديدة بقيادة الرئيس أحمد الشرع والمنتمية لهذا التيار. ولا تنفصل سياسات الحكومة المصرية والأردنية ضد الإخوان المسلمين فى إطار الصراع على السلطة. وهو أمر لا يمكن فهمه دون فهم السياق العام الذى تتحرك فيه فصائل الإسلام السياسى على تنوعها، والذى تحتل جماعة الإخوان المسلمين مكانا بارزا على خريطته، باعتبارها الجماعة الأم التى خرجت من عباءتها جميع الفصائل والجماعات الإسلامية فى منطقة الشرق الأوسط، وفيما وراءها. ولا تنطلق هذه الحسابات من فراغ وإنما تمتد إلى تاريخ ممتد من العلاقات الخفية والعلنية بين القوى الغربية وبين الإسلاميين.

أسس التقارب

هناك أسس لاعتماد القوى الغربية والولايات المتحدة على جماعة الإخوان المسلمين فى تخطيط وتنفيذ سياساتها فى المنطقة، فالجماعة التى تأسست فى مصر فى عام ١٩٢٨، بعد أعوام قليلة من قرار الجمعية الوطنية الكبرى فى تركيا، إلغاء الخلافة الإسلامية فى مارس ١٩٢٤، هى أقدم جماعة فى هذا التيار الذى يجعل من العقيدة منطلقًا للعمل السياسي، يتجاوز الرابط الوطنية والقومية، فأسست فروعا لها فى الشام وفى الأردن وفى فلسطين فى عهد الانتداب البريطاني، وأقامت تحالفات مع الجماعة الإسلامية فى الهند وباكستان، الأمر الذى مكنها من بناء هيكل تنظيمى دولي، ووضعها ذلك فى قلب الاستراتيجيات الدولية فيما يخص منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية. وتتميز الجماعة بمرونة عالية مكنتها من التواصل وإقامة جسور مع جماعات شيعية والتواصل مع القوى الأوروبية والغربية، وأتاح النهج البراجماتى (العملي) الذى يتبناه قادة الجماعة، هامشا واسعا من المناورة السياسية، عززه استعدادها لتبنى أشكال عصرية، مثل الأحزاب السياسية، واستعدادها لاعتناق أفكار واستلهام تجارب تنظيمية واردة من فلسفات غير إسلامية، مثل مفهوم الديمقراطية، والوطنية، والقومية. وساعدها ذلك على التكيُّف مع التغيرات على المستوى الوطنى والإقليمى والدولي، واستغلال أى حيز متاح للحركة لإعادة تقديم نفسها كفاعل يبدى استعدادا للتجاوب والتعاون مع الأطراف الدولية المؤثرة، كتنظيم وسطى ينتهج أساليبا سلمية وينبذ العنف، وقادر فى الوقت نفسه على التعامل مع التنظيمات الإسلامية الأخرى التى تنتهج العنف واحتوائها، كما يساعدها هذه المنهج على إعادة ترتيب أولوياتها وفقا لتحليلها للتناقضات الرئيسية التى تتعامل معها، بما يتفق مع خطتها لتحقيق أهدافها المرحلية، وصولا إلى تحقيق الهدف الأسمى وهو استعادة الخلافة بوصفها إطارا مؤسسيا للوحدة الإسلامية.

والبرجماتية قاعدة أساسية حاكمة للسياسات الغربية، يلخصها ونستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانى فى عامى ١٩٤٠ و١٩٤٥، بمقولته الشهيرة "فى السياسة ليس هناك عدو دائم او صديق دائم هناك مصالح دائمة"، فالمصالح هى المحرك الرئيسى لاتخاذ القرارات، وبناء التحالفات والعلاقات سواء فيما بين الدول أو فيما بين الدول والجماعات المختلفة، على المستويات الوطنية أو دون الوطنية أو العابرة للدول. والتحولات فى سوريا المرتبطة بالحرب على غزة والتى أدت إلى الإطاحة بنظام الرئيس بشار الأسد باعتباره حليفا رئيسيا لإيران وركيزة أساسية لسياسات إيران الإقليمية التى تقوم على فكرة تعزيز محور المقاومة من خلال دعم فصائل موالية لها ومناهضة لإسرائيل، مثل جماعة حزب الله فى لبنان والعراق والحوثيين فى اليمن، لقد كان هذا التحالف داعما لنظام بشار الأسد لأكثر من عشر سنوات فى مواجهة انتفاضات شعبية اندلعت فى مارس ٢٠١١، ثم فى مواجهة معارضة مسلحة تقودها فصائل إسلامية سورية وأجنبية بقيادة جماعة الإخوان المسلمين فى سوريا والمدعومة من تركيا. لكن التعقيدات على الساحة السورية، التى تتفاقم نتيجة لتقاطع مصالح القوى الإقليمية والدولية مع مصالح القوى المختلفة داخل سوريا التى يغلب عليها الطائفى والعرقي، والتى قد تبدل من التحالفات والصراعات على الساحتين السورية والإقليمية، تدفع الجماعة إلى المناورة على الساحة الإقليمية والدولية الأوسع، وإرباك حسابات القوى الإقليمية والدولية، ومن هنا كانت فكرة تصعيد الحملة المعادية للنظام فى مصر.

أدى تَغّير المعادلة الإقليمية فى أعقاب الإطاحة بنظام بشار الأسد واستيلاء تحالف جبهة النصرة بقيادة أحمد الشرع على السلطة فى بدعم إقليمى تقوده تركيا وقطر، والتوصل إلى تفاهمات مع الولايات المتحدة وروسيا، إلى تحولات فى البيئة الإقليمية إلى تحولات فى التحالفات الإقليمية على مستوى الدول والجماعات دفعت جماعة الإخوان المسلمين إلى إعادة حساباتها والسعى للارتباط بالقوى الدولية والإقليمية المنخرطة فى ترتيب الأوضاع الإقليمية والاستفادة من هذه الأوضاع لتعزيز تواجدها على مسرح الأحداث ذات الصلة بالتطورات فى منطقة الشرق الأوسط. وتكشف دراسات حديثة عن جوانب من العلاقات بين بريطانيا والولايات المتحدة وجماعة الإخوان المسلمين تعود إلى مطلع الخمسينيات، وكيف كانت الجماعة أداة رئيسية فى تحقيق أهداف السياسة الأمريكية والبريطانية فى المنطقة وفى سياسات الحرب الباردة، التى بلغت ذروتها فى محاربة الغزو السوفيتى لأفغانستان فى عام ١٩٧٩، وكيف تقاطعت مصالح تيارات الإسلام السياسى مع المصالح الأمريكية والغربية وتلاقت فى كثير من الحالات، والأهم أن مراحل الصدام بين الأهداف الغربية وأهداف هذه التيارات لم تصل إلى مرحلة القطيعة والعداء المطلق، نتيجة للتحولات داخل المشهد المعقد للتنظيمات الإسلامية مع صعود التيارات السلفية الجهادية التى وجهت عنفها المسلح للمصالح الأمريكية والغربية. فقد استطاعت جماعة الإخوان المسلمين على الرغم من هذه التحولات أن توجد لنفسها مساحة وهامشاً للتفاهم مع المصالح الأمريكية.

التحالف مع الشيطان

فى عالم السياسة المصالح تتصالح دائمًا، قد تتقاطع أحيانًا وقد تتعارض وقد تمضى فى تواز، أما المبادئ والثوابت فيجرى تكييفها وفق حسًابات يمليها الواقع وتغيراته. فالقوى الغربية، وفى مقدمتها الولايات المتحدة وإسرائيل، تسعى لتحقيق هدفها وإن اقتضى ذلك التحالف مع الشيطان. وحظيت جماعة الإخوان المسلمين والتيارات الإسلامية الأصولية الأخرى باهتمام القوى المنخرطة فى الشرق الأوسط والعالم الإسلامى منذ فترة مبكرة تعود إلى السنوات التالية على الحرب العالمية الأولى وفى فترة ما بين الحرب، وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية، إذ رأت فى هذه الجماعات قوة قد تستفيد منها لتحقيق خططها واستراتيجياتها فى منطقة الشرق الأوسط، وهو أمر رصدته العديد من الكتب والدراسات المنشورة، ومن أهمها كتاب روبرت دريفوس، "لعبة الشيطان"، الصادر فى عام ٢٠٠٥، والذى يرصد دور الولايات المتحدة فى نشأة التطرف الإسلامى فى المنطقة، وكتاب إين جونسون، "مسجد فى ميونيخ: النازيون، وكالة الاستخبارات المركزية وبزوغ نجم الإخوان المسلمين فى الغرب"، الصادر عام ٢٠١٠. ويرصد الكتاب الأول الدور الذى لعبته بريطانيا ثم الولايات المتحدة فى دعم صعود جماعة الإخوان المسلمين وغيرها من تيارات إسلامية متشددة ومتطرفة، مثل حزب التحرير الإسلامي، والارتباطات المبكرة بين الولايات المتحدة وزعماء الإخوان المسلمين أوائل خمسينيات القرن العشرين، وقام بتوثيقها، إذ نشرت فى الكتاب صورة من المكتب البيضاوى فى البيت الأبيض فى واشنطن أواخر صيف عام ١٩٥٣، للقاء بين الرئيس الأمريكى دوايت إيزنهاور وسعيد رمضان، أحد الأقطاب المؤسسين لما يعرف بالتنظيم الدولى للإخوان المسلمين وصهر حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فى مصر، وكان عمره ٢٧ عامًا، برفقة وفد من الباحثين والشيوخ والناشطين من الهند وسوريا واليمن وشمال أفريقيا. واحتلت التيارات الأصولية موقعًا مهمًا آنذاك فى السياسات الأمريكية فى حقبة الحرب الباردة فى مواجهة الاتحاد السوفيتى وكذلك فى مواجهة حركات التحرر الوطنى فى الشرق الأوسط المناهضة للسياسات الأمريكية والغربية.

بينما يشير الكتاب الثاني، "مسجد فى ميونيخ" إلى تلاقى مصلحة ألمانيا النازية مع مصلحة المخابرات المركزية الأمريكية فى دعم جماعة الإخوان المسلمين على المستوى الدولى وعلى المستوى الوطنى والمحلي. وتبرز هذه الدراسات مساحات التفاهم والتوافق بين الدول الغربية والأصولية الإسلامية، وتسلط الضوء على دور بريطانيا ومن بعدها الولايات المتحدة فى تأسيس الدولة السعودية الثانية بأيديولوجيتها الوهابية فى عام ١٩٢٣، وتأسيس جمهورية باكستان بعد تقسيم شبه القارة الهندية فى أعقاب الاستقلال فى عام ١٩٤٧، من خلال مشروع الجماعة الإسلامية بقيادة محمد على جناح أول رئيس لباكستان، وهو المشروع الذى حظى بدعم بريطاني، ثم تعهدته الولايات المتحدة الأمريكية بالرعاية فيما بعد. هذا التوافق ليس مرحلة تاريخية وانتهت لتحل محلها مرحلة العداء بين الدول الغربية والجماعات الإسلامية بعد انسحاب القوات السوفيتية من أفغانستان فى عام ١٩٨٩، وانقلاب الجماعات الجهادية التى انخرطت فى محاربة القوات السوفيتية فى أفغانستان على الولايات المتحدة والقوى الغربية التى وفرت لهذه الجماعات الدعم والرعاية. وعلى الرغم من "الحرب على الإرهاب"، التى أعلنتها الولايات المتحد فى أعقاب هجمات ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١، التى تورطت فيها جماعات شاركت فى الحرب الأفغانية، مثل الجماعات التى استلهمت فكر تنظيم "القاعدة"، برزت أشكال من التعاون بين الولايات المتحدة وجماعة الإخوان المسلمين، ودعمت النموذج التركى فى محاولة لاحتواء التيار الأصولي، لاسيما جماعة الإخوان المسلمين، إذا اتجه تفكير مراكز التخطيط الاستراتيجى الأمريكية إلى ضرورة الاعتماد على إشراك مكونات إسلامية لاحتواء التيارات العنيفة التى تتبنى "الإرهاب"، وبرزت فى سياق تطبيق هذه الأفكار صور للتنسيق والتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين.

علامات على الطريق

مرت العلاقات بين الولايات المتحدة والتيارات الإسلامية المتشددة بمراحل مختلفة، لكن التحالف الأمريكي-السعودي، كان ركيزة أساسية فى كل المراحل تقريباً. وشهدت السبعينات تحولاً مهمًا من خلال توسع قاعدة الشركاء المحليين الداعمين لهذه التيارات فى سياق التحالفات السياسية الداخلية أو الإقليمية. ويُلاحظ دريفوس فى كتاب "لعبة الشيطان" أن الأصوليين الإسلاميين المتشددين، أصبحوا قوة مهمة بالنسبة للعديد من الأنظمة الحليفة للولايات المتحدة فى العالم العربي، فى السبعينات، حيث جرى توظيفهم إما لإقامة تحالفات سياسية مضادة للتيارات القومية واليسارية، على النحو الذى كشفته التحولات فى مصر وباكستان والسودان، أو فى الصراعات داخل أجهزة السلطة على النحو الذى كشفته التجربة الجزائرية والفلسطينية، أو جرى الاعتماد عليهم لاحتواء البدائل الأكثر تشدداً على النحو الذى كشفته تجربة حركة الإصلاح الصومالية والتى يعتقد المراقبون أنها كانت، فى بدايتها، فرع جماعة الإخوان المسلمين فى شرق أفريقيا، ثم اقتصرت على الإخوان فى الصومال، والتى ظهرت من خلال النشاط الدعوى السري، فى عهد محمد سياد بري، الذى أطاحت به المعارضة القبلية المسلحة فى عام ١٩٩١.

وتشير بداية التشكيل السياسى لحركة الإصلاح الصومالى إلى صلاتها بالسعودية وبالتنظيم الدولى للإخوان المسلمين، إذ تأسست حركة الإصلاح فى الرياض عام ١٩٧٨، على يد خمسة من شباب الحركة الإسلامية، وانضمت فى العام نفسه إلى التنظيم الدولى للإخوان المسلمين، وأصبحت ممثلة له فى منطقة القرن الأفريقي. وبدأ نشاطهم السياسى مع تدشين المرحلة الانتقالية فى الصومال بعد مؤتمر عرتا للمصالحة الصومالية الذى انعقد فى جيبوتى فى عام ٢٠٠٠، من خلال حركة الإصلاح الإخوانية التى كان لها حضور كبير فى المؤتمر، والذى يُعتقد أنه تم بناء على دراسات واقتراحات قام ببلورتها كوادر من المكتب السياسى للحركة، التى كانت جهودها تتركز قبل ذلك فى مجال الصحة والتعليم والإغاثة والدعوة وغيرها، واستطاعت تقديم نموذج إسلامى رائد، وبدأ صعودهم من خلال البرلمان، ثم الرئاسة. ولفتت انتباه الولايات المتحدة كقوة قادرة على احتواء حركة الشباب المرتبطة بتنظيم القاعدة، وكان صعود الحركة فى الصومال وصعود حزب العدالة والتنمية فى تركيا تأثير كبير على توجيه السياسة الأمريكية للتعامل مع تحدى الجماعات الإسلامية المسلحة فى المنطقة، والتفكير فى الاعتماد على جماعة الإخوان المسلمين فى إحداث تغييرات تخفف من حدة الأزمات التى تواجهها الحكومات فى المنطقة.

اللافت للنظر فى هذا الصدد هو السياسة الإسرائيلية التى عملت على تشجيع التشدد الإسلامى فى مواجهة خصومها، لاسيما منظمة التحرير الفلسطينية، حيث عملت على دعم حركة المقاومة الإسلامية حماس المرتبطة بجماعة الإخوان على التواجد فى قطاع غزة وفى الضفة الغربية لتحدى سلطة حركة فتح والفصائل الفلسطينية المنضمة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وشجعت أيضا تمرد جماعة الإخوان المسلمين ضد نظام البعث فى عهد الرئيس حافظ الأسد فى السبعينات. وتشير تقارير ودراسات إسرائيلية وأمريكية إلى أن الإسلاميين فى الضفة الغربية والأردن ازدهروا بعد حرب عام ١٩٦٧ فى كل من الضفة وقطاع بتشجيع من الأردن فى سياق صراعه مع فتح وقيادة منظمة التحرير فى أعقاب المواجهات بين الجيش والفصائل المسلحة فى عام ١٩٧٠ وأيضا بتشجيع من إسرائيل. واستند هذا الدعم إلى تحالف قائم بحكم الأمر الواقع ضد الخصم المشترك المتمثل فى منظمة التحرير الفلسطينية التى أصبحت المعبر عن الهوية الوطنية الفلسطينية والتى تقود حركة التحرر الوطنى الفلسطينية. وبدأت الجماعة توسع نشاطها بين فلسطينيى ١٩٤٨ بعد الحرب.

فى حين حدثت تحولات حادة فى العلاقة بين حماس وإسرائيل، خصوصاً فى أعقاب انتفاضة الأقصى فى عام ٢٠٠٠، والتى أخذت طابعاً أكثر عنفاً مقارنة بانتفاضة أطفال الحجارة (١٩٨٧-١٩٩٣)، استمرت الحركة الإسلامية داخل إسرائيل فى النمو، وخاضت انتخابات الكنيست ضمن قوائم عربية مشتركة، إلى أن انسحبت من القائمة العربية المشتركة التى تضم أيضاً الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة والتجمع الوطنى الديمقراطى والحركة العربية للتغيير، وخاضت الانتخابات منفردة تحت اسم القائمة العربية الموحدة برئاسة الدكتور عباس منصور، الذى أبدى استعداداً للتقارب مع نتنياهو إذا كان ذلك يصب فى مصلحة العرب، مثل وقف العنف ووقف هدم البيوت، وزيادة ميزانيات البلديات العربية. ويشير انسحاب الحركة الإسلامية من القائمة العربية المشتركة إثر خلافات بسبب تصويت بعض مكونات المشتركة على قانون يمنع تعذيب المثليين، وتأييد شركة مقرها مدينة الناصرة دعمت منظمة يهودية تمثل المثليين، معتبرة ذلك متناقضًا مع الشريعة الإسلامية. وشجع موافقة القائمة العربية الموحدة التى تمثل الحركة الإسلامية فرع الجنوب، قانون يهودية الدولة الذى اقترحته الأحزاب الصهيونية فى الكنيست وعارضه أعضاء الكنيست الدروز والعرب، أحزاب اليمين الدينى الإسرائيلية على الترويج لفكرة تقاربها مع القائمة الموحدة على أرضية على الحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية للمجتمع.

خريطة التناقضات والتحالفات بعد الحرب

مرة أخرى، تبرز جماعة الإخوان المسلمين وفصائل تيار الإسلام السياسى المتحالفة معها، كلاعب رئيسى على الساحتين الوطنية والإقليمية يسعى للاستفادة من التطورات الإقليمية لتعزيز وجودها من ناحية، وزعزعة خصومها من الحكومات العربية والأحزاب السياسية العربية التى لا تتبنى أجندة إسلامية تقوم على فكرة الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية. لقد لعبت الجماعة دورا واضحاً فى الخمسينات والستينات فى مواجهة الأنظمة البعثية والاشتراكية فى الدول العربية من خلال تحالفها مع الأنظمة الرجعية الحليفة للولايات المتحدة والتى تقاطعت مصالحها مع مصالح إسرائيل التى تخوض حرباً ضد هذه الأنظمة وضد الفلسطينيين، وتسعى لإحكام سيطرتها على فلسطين وهيمنتها الإقليمية. وسعت إسرائيل لاستغلال التناقضات فيما بين هذه التيار وخصومها وقدمت أشكالاً من الدعم المباشر وغير المباشر، رغم إدراكها طبيعة العداء بينها وبين هذه الحركات الأصولية، والتى من المتوقع أن تزداد حدتها مع صعود الأحزاب اليمينية والدينية المتشددة فى إسرائيل، إلا أن هذا الصعود وما ترتب عليه من احتدام المواجهة أعطى دفعة قوية لتيار الإسلام السياسي، لكن هذه المرة على خلفية المواجهة مع إسرائيل فى أعقاب هجوم أكتوبر ٢٠٢٣. ورغم هذا سعت إسرائيل إلى استغلال التناقضات داخل معسكر الإسلام السياسى والتى تتمثل فى التناقضات فيما بين جماعة الإخوان المسلمين التى نجحت فى الوصول إلى السلطة فى أعقاب الانتفاضات فى البلدان العربية فى عام ٢٠١١، من خلال اتباعها نهجا يقوم على التقارب مع الولايات المتحدة والقوى الغربية من أجل إيجاد حكومات أكثر استقرارا، مستغلة اعتقاداً راسخا يتنامى لدى الإدارة الأمريكية والدوائر الغربية بأن فصائل الإسلام قادرة على تحقيق الاستقرار لأنها تتبنى نهجا يتفق مع المزاج العام فى المنطقة الذى يميل إلى التدين، مع إبداء استعدادها للتوصل إلى تفاهمات مع إسرائيل والدول الغربية لم تستطع الحكومات العربية القائمة التوصل إليها.

لقد كشفت التطورات فى سوريا فى أعقاب الإطاحة بحكم البعث وهروب الرئيس بشار الأسد وأركان حكمه وتفكك الجيش السورى عن خريطة جديدة للتناقضات والتحالفات فى سوريا وعلى المستوى الإقليمى قائم على حشد التيار الإسلامى الذى يغلب عليه الطابع السلفى السنى المناهض لإيران الشيعية وحلفائها الذين دعموا نظام الأسد. وتضع الخريطة الجديدة البازغة للتناقضات والتحالفات، التى تتسم بطابع غير مستقر وسريع التقلب، الأمر الذى سينعكس سلبًا على القضية الفلسطينية، والقوى الفلسطينية المنخرطة فى الكفاح ضد السياسات الإسرائيلية. ومن غير المرجح أن يتمكن النظام الجديد فى سوريا، الذى يعتمد بقاؤه على دعم قوى خارجية لها مصالح متعارضة، على النحو الذى أظهرته المواجهات الأخيرة فى محافظة السويداء. فى ظل هذا الوضع تبرز خطورة التشهير بمصر وسياساتها الداعمة للقضية الفلسطينية والتى ترى ضرورة لإنهاء الحرب لوقف النزيف الفلسطينى المتواصل.



بقلم: أشرف راضي

قالت العرب

"والآن أشهد أن حضورك موت وأن غيابك موتان
والآن أمشي على خنجر وأغني...قد عرف الموت أني أحبك
أني أجدد يوماً مضى ... لأحبك يوماً وأمضي..."

المشهد
العدد 341 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م الموافق 18 صفر 1447 هـ

الرعاة الرئيسيون للمعارضة السورية ينحصرون فى كل من أمريكا وإسرائيل وتركيا والسعودية وقطر

سوريا: ساحة صدام المشروعات الجيوسياسية



الشرع مع بن سلمان وترامب



الشرع وأردوغان



الشرع وأمير قطر(تميم بن احمد)



الشرع والسيسي

تحدثت في مقال سابق عن القوى الخارجية التي تعاونت على الإطاحة بنظام الأسد، كل بحسب مصالحه ومشروعه الجيوسياسي. وقد قسمت هذه القوى الى: دولية، وإقليمية. وتمثلت القوى الدولية في كل من الولايات المتحدة (ومعها دول الاتحاد الأوربي، بدرجات متفاونة) وروسيا. أما القوى الإقليمية فتمثلت في كل من إسرائيل وتركيا وممالك الخليج. وبانهيار نظام بشار الأسد، على النحو الدراماتيكي الذي شهدناه، تمكنت الجماعات «المعارضة» من تسلم السلطة، وذلك في الثامن من شهر ديسمبر ٢٠٢٤.



الشرع مع محمد بن زايد



نتنياهو حاضر في السر غائب في العلن

> **تناقض روسي – أمريكي تركي، وتناقض تركي – أمريكي إسرائيلي، وتناقض سعودي - تركي، وسعودي – إسرائيلي، وتناقض قطري - تركي، وقطري سعودي**



> **الموقف المصري الأكثر مبدئية ووضوحا فيما يتعلق بضرورة الحفاظ على وحدة وسلامة الأراضي السورية ودعم مؤسسات الدولة فيها**

ويمثل عماد هذه الجماعات فرع تنظيم القاعدة فى سوريا، والذى سمى، فى البداية، باسم «جبهة النصرة»، ثم تحولت تسميته الى «هيئة تحرير الشام». وتحالف معه عدد كبير من التنظيمات والحركات الجهادية، منها «الاخوان المسلمون» و«الحزب التركستاني»، و«لواء السلطان مراد»، وفصيل يسمى «الحمزات»، وآخر يسمى «العمشات»، وجماعات أخرى تتكون ممن يحملون جنسيات غير سورية مثل الأوزبك والشيشان والطاجيك.. الخ. وهذه الجماعات تنتمى كلها الى المذهب السلفى الجهادى المتشدد، وكثير منها مصنف كجماعة إرهابية. إضافة الى ما يسمى ب «الجيش السورى الحر» والذى يطلق عليه أحيانا اسم «الجيش الوطنى الحر»، وهو عبارة عن مجموعات عسكرية قامت بالانشقاق على الجيش السورى الرسمى ابان ما عرف بالثورة السورية التى اندلعت أحداثها فى شهر مارس عام ٢٠١١.

وفى الجهة المقابلة لكل من النظام الأسدى وتلك الجماعات السنية، معا، تواجد فصيل سورى كردي، ينطلق فى معارضته للنظام من أسس عرقية، وهو تنظيم مسلح ويحظى بدعم كل من أمريكا وإسرائيل. ألا وهو القوات الكردية المعروفة باسم «قوات سوريا الديمقراطية»، واختصارها «قسد».

إن نظرة واحدة إلى طبيعة هذه القوى المعارضة ومسمياتها وتوجهاتها الأيديولوجية يمكنها أن تنبئنا، بدرجة معينة، عن طبيعة القوى الإقليمية والدولية التى تقف وراءها.

ومن البداية، لا بد من التأكيد على أن القوى المعارضة، ذات الطبيعة الدينية (الطائفية) لم يكن من الممكن لها أن تتواجد فى سوريا (تحديدا: منطقة ادلب والشمال السوري) والسماح لها بالمرور والتمتع بالخدمات الإعاشية واللوجستية والتسليحية المختلفة، إلا بسماح ورعاية ودعم من تركيا، بالمقام الأول، وبعد ذلك، يأتي، فى المرتبة التالية، دور كافة الدول الراعية. ولذلك تعد تركيا الراعى الأول لهذه المجموعات الإرهابية.

كما أن الاخوان المسلمين يتمتعون برعاية قطرية – تركية، مباشرة، من النواحى المالية والتسليحية، كافة. بينما قامت السعودية وتركيا بدعم الجيش السورى الحر. وانفردت تركيا بدعم لواء السلطان مراد ومن معه من الجماعات التى تنتمى الى الأقلية التركمانية. بينما يتمتع تنظيم قسد برعاية أمريكية ظاهرة ورعاية إسرائيلية خفية.

ومن هنا يمكن القول بأن الرعاة الرئيسيين للمعارضة السورية ينحصرون فى كل من أمريكا وإسرائيل وتركيا والسعودية وقطر، بينما يمكن وصف موقف الامارات العربية المتحدة بأنه كان الأكثر تذبذبا إزاء تلك الأزمة، فهو لم يكن مؤيدا للأسد ولكنه كان أيضا يبدى تخوفه من استيلاء الجماعات الدينية الراديكالية على الحكم فى سوريا. وهو موال للسياسات الأمريكية، ولكنه لم يرغب فى استفزاز إيران. ولذا جاء موقفه أقل عدوانية تجاه نظام الأسد، قياسا بموقف كل من السعودية وقطر.

وبالطبع، جاء هذا الدعم المقدم للجماعات الثائرة على نظام بشار، فى مواجهة كل من روسيا وايران اللتين كانتا الداعمتين الرئيسيتين لنظام بشار الأسد، واللتين تعدان الخاسر الأول، فى كل هذه الأحداث، إلى جانب مصر بالطبع من زاوية أخرى.

وعلى ذكر مصر، فلقد جاء الموقف المصرى منذ الأحداث التى اندلعت فى سوريا بداية من شهر مارس عام ٢٠١١، متحوطا وحذرا، إلى حد كبير. فلم يرق إلى مستوى الدعم العلنى المباشر، قياسا بالموقفين: الإيرانى والروسي، كما أنه لم يخف موقفه المعادى للجماعات المسلحة التى تقاتل ضد النظام، وقلقه الشديد من احتمال خسارة سوريا وخروجها من الساحة المعادية لإسرائيل.

وربما جاء الموقف المصرى على هذا النحو، رغبة فى عدم استفزاز ممالك الخليج وأمريكا وإسرائيل والغرب، وقت أن كانت مصر تمر بأضعف حالاتها، فقد كانت تلملم جراحها من بعد ثورة يناير ٢٠١١، وتعانى من الفوضى التى أعقبت إقصاء مبارك عن الحكم، ثم دخولها فى مرحلة حكم الإخوان القلقة والمتوترة إلى أقصى حد، ثم الثورة على الإخوان وإقصائهم عن السلطة، ثم مرحلة انتقالية حتى عام ٢٠١٤.

بيد أن الموقف المصرى كان ولا يزال الموقف الأكثر مبدئية ووضوحا، فيما يتعلق بضرورة الحفاظ على وحدة وسلامة الأراضى السورية، عن طريق رفض أى نوع من التقسيم، سواء الطائفى أو العرقي، ودعم مؤسسات الدولة فيها. وإيجاد حلول سياسية للأزمة مع التأكيد على ضرورة مكافحة الجماعات الإرهابية.

وهذا الموقف، من وجهة نظري، نابع من تقدير مصر للقيمة الاستراتيجية الكبرى لسوريا، وبخاصة فيما يتعلق بصراعنا الممتد مع إسرائيل، وهو أمر يرتبط، أيضا وبصورة جوهرية، بالعقيدة السياسية والعسكرية الراسخة لدى المصريين، والمتمثلة فى أن العدو الرئيسى لمصر هو الكيان الصهيوني. فانهيار سوريا، لا شك يزيد الخلل فى موازين القوى الاستراتيجية فى هذا الصراع (وهى المختلة أصلا وعلى نحو مزمن) لصالح العدو الصهيوني. وهو ما يلقى أعباء أكبر على كاهل مصر فى حال حدوث أى مواجهة عسكرية. فضلا عن أن سقوط سوريا سيفتح حتما شهية العدوان والتسلط لدى الكيان الذى تتحكم فيه اتجاهات دينية وتوراتية، لا تخفى أطماعها فى كل بلدان الشرق العربى بما فيه مصر.

والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام يتمثل فيما يلي:

هل سيبقى التحالف بين هذه الدول التى اتفقت إراداتها على إسقاط النظام السورى قائما؟؟ أم أن لكل منها أجندته الخاصة التى ستحتم الاصطدام والاختلاف؟؟

من الطبيعى أن يكون لكل من هذه الجهات حساباته وتصوراته الخاصة فيما يتعلق بمستقبل الشرق الأوسط. انطلاقا من الميدان السوري. وسوف أتناول كلا من الجهات المتصارعة فى هذه القوى، واحدة تلو الأخرى، فيما سيلي.

التناقض الروسى – الأمريكي، التركي:

لقد كان هدف أمريكا وحلفائها من إسقاط بشار الأسد ليس فقط تأمين الحماية لإسرائيل، خاصة أن الدولة السورية كانت تبدى أكبر قدر من الرفض والممانعة لمخططات التطبيع والهيمنة الأمريكية الإسرائيلية، وتقدم كل الدعم لقوى المقاومة. ولكن إلى جانب ذلك، أيضا، كان هناك هدف حرمان روسيا من محطة وقاعدة استراتيجية مهمة متواجدة فى «المياه الدافئة»، فى إطار جهود الغرب لتقليص النفوذ والتواجد الروسى على الصعيد العالمي، وبخاصة على صعيد الشرق الأوسط، لا سيما بعد نشوب الحرب الروسية – الأوكرانية.

فضلا عن الطموح التركى الغربى فى مد أنبوب غاز عبر ممر (زنجزور)، الذى يمتد من أذربيجان الى كل من تركيا وسوريا، وصولا الى أوروبا، وهو الأمر الذى سيضر بقيمة الغاز الروسى فى الأسواق العالمية، عامة، والأوربية، خاصة. وسيجعل العقوبات التى وقعها الغرب على روسيا أكثر ايلاما. فضلا عن الجهود الحثيثة والتى سيدعمها الإقدام على محاولات سلخ أذربيجان التى تقع ضمن مناطق «الكومنولث الروسي»، الذى يعد حزام الحماية الجنوبى لروسيا، وضمها إلى الحلف الغربي. تماما كما حدث من محاولات مع جورجيا من قبل، وما يحدث مع أوكرانيا حاليا. وهو ما يشكل تهديدا كبيرا ومتواليا للأمن الاستراتيجى لروسيا. ولذا فإن روسيا لن تغفر لكل من تركيا وأمريكا هذه الفعلة. وعموما فإن التناقضات الروسية التركية قديمة، قدم الصراع بين الامبراطوريتين: القيصرية الروسية والسلطنة العثمانية منذ القرن السادس عشر. كما أن هذه التناقضات كثيرة وفى أكثر من ملف، وعلى رأسها ملف ما يسمى ب «العالم التركي»، الذى هو نفسه ما يطلق عليه الروس اسم الكومنولث الروسي. إضافة إلى ملف (القرم) الذى تعتبره تركيا اغتصابا لجزء من مناطق نفوذها التاريخية. وكذلك الملف الأوكراني، فى وقتنا الراهن. وهو ما يعنى أن حسم الوضع فى سوريا، على النحو الذى رأيناه، يمكن أن يكون قد تجاوز حد التناقض واختلاف المصالح إلى حد الضرب المباشر فى الخواصر الرخوة.

ولذا يعد نجاح أمريكا وتركيا فى إسقاط بشار الأسد هزيمة ثقيلة للروس. ولا شك أن روسيا تضمر الرد وتحاول استعادة نفوذها القديم، بيد أن التحرك الروسى الحاسم قد يتأجل الى ما بعد نهاية الحرب الأوكرانية. وإلى أن تسمح الظروف بذلك، فإن روسيا ستحتفظ بعلاقاتها القوية بالأقلية العلوية، التى لا تجد نصيرا وحاميا لها من التوحش الأصولى الذى يتحكم عناصره فى سوريا الآن، من الناحية العملية، إلا فى التواجد العسكرى الروسى فى قاعدتى حميميم وطرطوس. وكذلك علاقاتها القوية والتقليدية مع عدد من قادة الجيش السورى القديم، والذى تم حله.

ومن هنا فإنى أستطيع القول بأن سوريا ربما تصبح ميدانا لحرب كبرى فى المستقبل المنظور، تتورط فيها قوى نووية عظمى. وربما لن تقتصر الحرب على انخراط روسيا، فى مواجهة كل من: تركيا، وأمريكا، ومن ورائها الغرب، وإسرائيل. بل ربما تشتبك الصين أيضا نظرا لتهديد مصالحها بسبب سقوط الأسد. فالصين تشعر بأن كل ما يحدث فى منطقة الشرق الأوسط إنما يهدف (فى جزء ليس بالقليل منه) إلى تحجيم نفوذها وانتشارها على الصعيد العالمي، وأنها من المستهدفين الرئيسيين فى كل التحركات الغربية بقيادة أمريكا. كما أن الصين تعي، بقوة، أن اللعبة فى الشرق الأوسط إنما هى الحلقة الأهم، (نظرا لما تتمتع به من أهمية استثنائية لكونها تحتوى على منابع الطاقة والممرات البحرية الاستراتيجية) فى سلسلة كبرى، عالمية الطابع، من الحرب الباردة، (التى قد تتحول فى لحظة إلى حرب ساخنة، يعد لها الجميع بكل ما أوتي، وعلى مختلف الأصعدة: العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية.. الخ)، بينها والغرب الذى تقوده أمريكا.

التناقض التركى – الأمريكي، الإسرائيلي:

لا شك فى أن العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل تقوم على أكثر من مجرد التبادل التقليدى للمنافع بين الدول. فإذا كانت فكرة «إعادة هندسة الشرق الأوسط» قد جاءت على النحو الذى يحقق مصالحهما معا. فإن هذه المصالح مترابطة على نحو لم تعهده العلاقات بين الدول من قبل، فإسرائيل تعد قاعدة عسكرية أمريكية أو حسب تعبير البعض «حاملة طائرات أرضية» بالنسبة لأمريكا. وعموما يمكن القول بأن إسرائيل من حيث النشأة ما هى إلا «رأس حربة» للمشروع الاستعمارى العالمي، والذى توالى على رعايته معظم الدول الاستعمارية منذ قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، سواء أكانت إنجلترا ومعها كل دول أوروبا الرأسمالية الاستعمارية، (فرنسا وألمانيا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا.. الخ)، أو كانت أمريكا منذ بداية الستينيات، حتى الآن. بينما لم تتخل أى من دول أوروبا المشار اليها (أخص بالذكر منها إنجلترا وفرنسا وألمانيا) عن تقديم الدعم الإضافي، قدر المستطاع إلى دولة الكيان، سواء على المستوى الاستخباري، أو العسكري، أو الدبلوماسي.. الخ.

بيد أنه من الضرورى ملاحظة ظهور أنواع من التناقضات وتباين الأولويات، على المستويين: السياسى والاقتصادي، بين بعض دول أوروبا، من ناحية، والولايات المتحدة، من ناحية أخرى. وبخاصة فيما يتعلق بالموضوع الأوكراني، وكيفية إدارة العلاقة مع روسيا والصين وبلدان الشرق الأوسط.. الخ. وقد تبدى هذا الأمر فى ظهور بعض الأصوات الأوروبية المناوئة للولايات المتحدة وإسرائيل، على نحو صريح فيما يتعلق بالموضوع الفلسطيني، (مثل أيرلندا وإسبانيا والبرتغال). ويضاف إليها بقوة موجة الاعتراف بالدولة الفلسطينية التى تشارك فيها بعض الدول الرئيسية فى أوروبا، ومعها كندا، فى الوقت الراهن.

من هنا نرى أن العلاقة الأمريكية – الإسرائيلية تمثل نوعا متقدما للغاية من العلاقات بين الدول، بما يكاد أن يصل إلى حد التطابق، بينما تمثل العلاقة الأوروبية – الإسرائيلية نوعا آخر، بمعنى أنه على الرغم مما ينطوى عليه من تحالف ودعم، فإنه يحمل قدرا من التباين النسبي، الناجم عن اختلاف التقديرات، قياسا بالعلاقة مع الولايات المتحدة.

ولقد تبدى التطابق الأمريكى – الصهيونى فى طرح المشروع الذى عرف بـ «الشرق الأوسط الجديد». وهو مخطط قديم – جديد، يشير إلى جملة من التغيرات المزمع إحداثها فى خريطة الشرق الأوسط، وينذر بتحولات جيوسياسية، تتغير بموجبها الحدود القائمة، بما يتلاءم مع مقتضيات أمن دولة الكيان. وأيضا لخدمة مشروعات اقتصادية كبيرة وممرات تجارية جديدة مثل طريق البهارات، (الذى يهدف الى قطع الطريق على خطة الحزام والطريق الصينية). وكذلك مد خطوط غاز وبترول عبر الدول التى سيعاد تقسيمها، (مثل خط غاز قطر الذى من المخطط له أن يمر عبر السعودية وسوريا ومن ثم تركيا، الى أوروبا). أو خط غاز (زنجزور)، أو غير ذلك من مشروعات اقتصادية تخدم مصالح قوى دولية وأخرى إقليمية.

ومن هنا يمكن القول بأن المصلحة الأمريكية الإسرائيلية تمثل المشروع الرئيسى فى المنطقة، وهو المتمثل فى مشروع «الشرق الأوسط الجديد»، على النحو الذى تم ذكره. واذا كان من الممكن أن تلتقى مع هذا المشروع مصالح قوى معينة ممن ساهموا فى إسقاط الأسد، فلقد اتضح، كذلك، أن تلك المصالح يمكن أن تتناقض، أيضا، مع مصالح جزء آخر من القوى نفسها، أو مع مصالح قوى ثالثة.

وأول أشكال التناقض هو التناقض بين كل من المشروع التركى والمشروع الأمريكى – الإسرائيلي. من حيث أن إسرائيل تهدف الى تقسيم بلدان المنطقة على أسس عرقية وطائفية – دينية. وبخاصة سوريا، التى تمثل بؤرة الأحداث الراهنة. وقد رأينا التدخل الإسرائيلى العسكرى لصالح «دروز» السويداء فى الفترة الأخيرة، كما أن إسرائيل تتحالف مع «قسد» (قوات سوريا الديمقراطية، ذات الانتماء إلى القومية الكردية). وهى تهدف، عن طريق توطيد علاقاتها مع هذين الطرفين، إلى إقامة ما يسمى «ممر داوود»، الذى يبدأ من أقصى جنوب سوريا إلى أقصى شرقها وشمالها، والذى تستهدف إسرائيل، من خلاله، الوصل بين إسرائيل والأراضى التى يسيطر عليها الكرد من جماعة (قسد)، وصولا إلى مياه نهر الفرات، عن طريق البر. وهو مشروع يتعلق، فى جزء كبير منه، بنبوءات توراتية غيبية، تندرج ضمن مشروع «إسرائيل الكبرى»، بوصفه مشروعا دينيا فى الأصل. كما أنه يتعلق، فى الجزء الآخر، بمحاولة قطع الارتباط البرى بين سوريا وكل من: ايران، والعراق. بما يعنى عزل سوريا بالكامل عن الجغرافيا العربية والإسلامية (باستثناء تركيا).

كما أن أمريكا تريد الهيمنة على النفط السورى فى منطقة الجزيرة، إلى جانب تعزيز وتوسيع قواعدها العسكرية فى التنف ودير الزور، تعزيزا لهيمنتها المطلقة على المنطقة.

وهذه الأهداف، من جانب كلتا الدولتين (أمريكا وإسرائيل)، تتناقض، بصورة جذرية، مع المشروع التركي، الذى يهدف إلى إحياء المجد العثمانى التالد، عن طريق استعادة الهيمنة على سوريا. ومن ثم، باقى أقطار الشرق العربي. وبالتالى فإن الترك يريدون سوريا كاملة غير مقسمة، ولحسابهم وحدهم، ويعزز ذلك اعتقادهم بأنهم أصحاب الإسهام الأكبر والأهم فى انتصار مخطط الإطاحة بالأسد.

كما أن فكرة تقسيم سوريا، التى تعمل عليها إسرائيل، تعنى بالضرورة قيام دولة أو (كانتون) كردي، وهو ما يفتح باب الجحيم على تركيا، بالمعنى الحرفى للكلمة. خاصة أن الكرد السوريين، الذين يتمتعون بدعم ورعاية أمريكية وإسرائيلية، يتواجد، أعداد كبيرة من أبناء قوميتهم، فى كل من العراق وإيران، وفى تركيا نفسها، حيث يبلغ تعدادهم فى تركيا ما يقارب ١٧ مليون إنسان، أى ما يقرب من ٢٠٪ من السكان، ويشغلون ما يقارب ثلث الأراضى التركية. بما يمكن أن يفتح الباب لقيام دولة كردية على حساب وحدة التراب التركى (فضلا عن العراقى والإيراني).

ولذا، فإن التناقض التركى – الأمريكى الإسرائيلى يعد تناقضا مفصليا، لأنه يشتمل على نقاط تمس جوهر المشروعين المتنافسين. وقد يفضى إلى تقاتل بالنار بين كل من تركيا وإسرائيل المتحالفة مع أمريكا على الغنيمة السورية، إن لم يتم إيجاد صيغة للتسوية ترضى الطرفين، وكذلك ترضى القوى الراعية للجماعات المسلحة، على حساب التراب السوري، وهذا ما أرجحه، فى حال وصول الأوضاع الى نقطة حرجة.

التناقض السعودى – التركي، والسعودى – الاسرائيلي:

هناك، أيضا، تناقض سعودى – تركى يمكن أن ينشأ فى حال تمكنت تركيا من الفوز بالغنيمة السورية، كاملة، لحسابها. وذلك، لأن السعودية قد دعمت ماليا، بقوة عملية اسقاط الأسد وعلى طول مراحل ما يسمى بـ «الثورة السورية» على مدار أربعة عشر عاما، بهدف أساسى واستراتيجى بالنسبة لها، ألا وهو التخلص من النفوذ الإيرانى فى كل من سوريا ولبنان (حزب الله)، باعتبار أن هذا النفوذ يعد مهددا لطموحاتها فى قيادة المنطقة. ولذا فإنها غير مستعدة، على أى نحو، لاستبدال النفوذ الإيرانى بالنفوذ التركي.

فإذا كانت تركيا تطمح إلى زعامة العالم الإسلامى السني، عن طريق إحياء ما يعرف باسم «العثمانية الجديدة»، فإن السعودية ترى نفسها أحق وأولى من تركيا بهذه الزعامة. ويرجع هذا الشعور بالاستحقاق، لدى السعوديين، إلى أسباب عديدة: منها المركز الدينى الذى تتمتع به السعودية (فهى بلاد الحرمين)، وكذلك الدعم الهائل الذى قدمته للجماعات المناهضة للأسد، وليس آخرها الوفرة المالية والثروة النفطية الهائلة التى تتمتع بها. ولذا ترى أنها بموجب كل هذه المسوغات تستحق وضعية قيادية على صعيد المنطقة بالكامل.

وللأسباب ذاتها تعارض السعودية المشروع الصهيونى فى محاولته تقسيم سوريا والهيمنة على منطقة الشرق الأوسط. فالسعودية قد تقبل الانضواء تحت الإبط الأمريكية، وقد تقبل التعاطى الإيجابى مع الطروحات الإسرائيلية، بل التعاون معها فى ملفات كثيرة (الملف اليمنى مثال على ذلك)، ولكن ثمن ذلك لا بد أن يكون متمثلا فى تلبية طموحاتها فى المشاركة فى زعامة المنطقة، إن لم يكن فى زعامتها دون شريك. من هنا نفهم إصرار السعودية على عدم المضى قدما فى التطبيع مع إسرائيل والمماطلة فى تمرير ما يسمى بالديانة الابراهيمية، والنظر بعين الشك والريبة لتحركات كل من تركيا وإسرائيل فى الملعب السوري. وإذا أيقنت السعودية من أنها قد تخرج من تلك المواجهة خالية الوفاض، فإنها يمكن أن تقلب خريطة تحالفاتها رأسا على عقب.

التناقض القطرى – التركي، والقطرى السعودي:

لا يمكن النظر إلى قطر بوصفها دولة كاملة السيادة، فهى فى الحقيقة أقرب الى مفهوم الدولة الوظيفية منها الى الدولة الطبيعية، مثلها فى ذلك مثل دولة إسرائيل. أى أنها دولة يرتكز وجودها على قدرتها على القيام بأدوار محددة لصالح قوى عظمى. والدور القطرى يتمثل فى دور مقاولى الباطن الذين يقومون بالأعمال التى قد يخجل من القيام بها المقاولون الكبار. ولذلك فان أهميتها تكمن فى أن تقوم بتمويل هذا النظام أو تلك المنظمة أو أن تقوم بدور الوساطة بين الأطراف لصالح قوى أكبر، أو أن تتحرك بالوكالة عنها.. الخ.

بيد أن هذه الوضعية لا تمنع هذه الدويلة الصغيرة (يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ ألف نسمة) من أن يكون لديها تصورات ومخططات ترتبط بحماية أمنها ومصالحها وعوامل بقائها، فى مواجهة العدائيات والأطماع المحدقة بها. فهي، مثلا، لا تقبل بالهيمنة السعودية على منطقة الخليج، فضلا عن هيمنتها على كامل الشرق العربي. وقد يعزى ذلك الى الثقافة القبلية القائمة على التنافس والتنابز والتفاخر، وقد يرجع، أيضا، الى مخاوفها (المبررة، من وجهة نظري) من طموح الزعامة السعودية على حساب الكيانات الصغيرة القائمة فى شبه الجزيرة العربية. وهذا هو الأقرب الى الرجحان، بحسب المعايير التى تقوم عليها العلاقات المعاصرة بين الدول. وأعتقد أن هذا «الخوف من الالتهام» هو الذى يحكم مجمل السياسات القطرية، (وربما غيرها من دويلات الخليج الصغيرة). ولذلك تتجه قطر فى كثير من الأحيان إلى لعب دور «الوسيط» القريب من كل الأطراف القوية والفاعلة. فهى تتحالف مع أمريكا وإسرائيل، ولكنها تحتفظ بعلاقات متميزة مع كل من: ايران، وحزب الله، وحماس، والجهاد. وهى ترعى الاخوان المسلمين، لكنها تحافظ على علاقات قوية مع كل خصومهم. وهى عضو فى مجلس التعاون الخليجى ولكنها أصبحت أقرب إلى اليمن منها إلى معسكر السعودية والإمارات والبحرين التى قاتلت اليمن. وهى تسعى لإقامة علاقات جيدة مع مصر ولكنها تدعم الإخوان المسلمين ضد مصر ولصالح أمريكا وإسرائيل وتركيا.

وعلى الرغم من تناقض الموقف القطرى مع الطموحات السعودية، فإن من الممكن لديه التسامح، للغرابة، مع المخططات الإسرائيلية!!، بل إنه ربما يعمل على القيام بدور الوسيط لتمرير هذه المخططات (مثل تقديم الدعم المالى لحماس بطلب من إسرائيل، بحسب اعتراف رئيس الوزراء القطرى السابق حمد بن جاسم) فضلا عن السماح بطرح السردية الإسرائيلية، عبر قناة الجزيرة، عن طريق استضافة مسؤولين لدى دولة الكيان فى برامجها.. الخ. وأعتقد أن ذلك يتم فى إطار فكرة استجلاب الحماية الأمريكية التى تحكمها عقدة «الخوف من الالتهام» المشار اليها.

وعلى الرغم من تقارب قطر مع تركيا وإغراقها بالمنح والاستثمارات المليارية، وانتدابها لإقامة قواعد عسكرية فى أراضيها، إبان فترة التوتر السعودى – القطرى والتهديدات السعودية (ومعها الإمارات ومصر والبحرين) بغزو قطر عام ٢٠١٧، وعلى الرغم من اشتراكهما معا فى دعم جماعة الإخوان وغيرها من الجماعات الأصولية، فإن قطر تتوجس من المخططات التركية، وبخاصة الاقتصادية، وأخص منها بالذكر مشروع ممر زنجزور للغاز الأذربيجانى الذى سيمر بكل من سوريا وتركيا، والذى يمكن أن يطيح بأهمية مشروع خط الغاز القطرى المتوجه نحو سوريا إلى أوروبا. ولذا فإن قطر ترى فى التحركات التركية ألوانا من الغدر الذى لا يبعث على الاطمئنان.

من هنا يتبدى لنا مقدار التعقيد الذى تنطوى عليه علاقات القوى بمنطقة الشرق الأوسط، والذى يشى بصورة واضحة بأن ما حدث من تغيرات ليس نهاية المطاف بالنسبة لأطراف الصراع فى هذه المنطقة، بل إنه يكاد يؤكد أن المنطقة مقبلة على مرحلة ممتدة من السخونة، تفوق ما شهدته فى الفترة المنصرمة.

بقلم: د. صلاح السروي

قالت العرب

«سجِّل.. برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكرهُ الناسَ ولا أسطو على أحد
ولكنّي.. إذا ما جعتُ آكلُ لحمَ مغتصبي
حذارِ.. حذارِ.. من جوعي ومن غضبي"

المشهد
العدد 341 - السنة الرابعة عشرة - الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م الموافق 18 صفر 1447 هـ

المرأة بين الصمت والحرمان: النص والتأويل فى الفقه والإنجيل

رغم الحضور الكاسح للمرأة فى حياة المؤمنين.. أم تصلى من أجل أولادها، أو خادمة فى الكنيسة أو واعظة فى الريف، إلا أن المكان الذى تصنع فيه السياسات الدينية يعاد فيه تأويل النصوص وتقرر فيه مصائر الجموع، ما يزال حكرا على الرجال.

فى مصر حيث يتقاسم الإسلام والمسيحية المشهد الديني، لا تتقاسم النساء مقاعد القرار فى المؤسستين. لا امرأة فى المجمع المقدس، ولا فى هيئة كبار العلماء. وحتى حين تظهر فإن ظهورها لا يعكس سلطة، بل هو غالبا أقرب إلى التجميل الرمزى للمشهد لا أكثر.

فى الكنيسة الأرثوذكسية الكهنوت محظور على النساء. يمكن للمرأة أن تعلم الأطفال، وأن تخدم فى الأنشطة وأن ترتل أحيانا، لكنها تظل خارج أى دائرة رسمية لصناعة القرار العقيدى أو الطقسي، وفى الأزهر الأمر ليس أكثر رحابة رغم تعيين واعظات ومستشارات فى بعض المؤسسات، إلا أن الهرم لا يزال يعلوه الذكور وحدهم من الفتوى إلى التفسير، ومن مناهج التعليم الدينى إلى خطبة الجمعة..

لكن غياب المرأة عن القيادة ليس فقط غيابا عن الصورة، بل هو تغييب عن التفسير و عن حق النظر فى النص وعن الأحقية فى قول «هذا ما يعنيه الدين، وهذا ما لا يعنيه» .

تسأل "سلمى"، وهى شابة قبطية درست فى كلية الإكليريكية: "لما أبونا يقول لنا ما ينفعش الست تفسر الإنجيل لأنها عاطفية.. يبقى هو بيتكلم باسم النص؟ ولا باسم أفكاره؟".

أما «إيمان» خريجة أزهرية فتسرد كيف رُفض السماح لها بالتدريس فى معهد إعداد الدعاة: «قالولى مفيش بند يسمح ومفيش سابقة.. طب وليه مفيش سابقة؟»

فى المسائل الشخصية.. يبدو التناقض أكبر، ففى الكنيسة لا طلاق إلا لعلة الزنا. حتى لو كانت الزوجة معذبة أو مهجورة يظل الباب مغلقا، فى الإسلام توجد حقوق قانونية للمرأة فى الطلاق لكنها تصطدم بواقع قضائى مرهق ومعارك طويلة فى المحاكم على النفقة والحضانة.

أما الميراث ففى الحالتين لا تناله المرأة بشكل متكافئ، فالكنيسة تتبع الشريعة الإسلامية فى التوزيع ما يجعل النساء المسيحيات يرثن بنصف نصيب الذكر كما هو الحال فى الفقه الإسلامي.

رفض كهنوتي

وعلق كاهن رفض ذكر اسمه: "أن الكنيسة لا ترفض المرأة.. لكن هناك حدودا رسمها التقليد، نحن لا نمنح الكهنوت للنساء لكن نمنحهن فرصة الخدمة.. لا نمنعهن لكن لا نراهن جزءا من المجمع المقدس مثلا..

هل المسألة إذن فى "النص"؟ أم فيمن يملكون قراءته؟

بسؤاله هل المشكلة أن الإنجيل والفقه كلاهما ذكوري؟ أم أن الذكور وحدهم هم من ظلوا يفسرونهما؟

يجيب بعيدا عن الدفاعيات الدينية.. هناك واقع لا يمكن إنكاره.. النساء مؤمنات، خادمات، محجبات، ملتزمات، وفاعلات فى المشهد الديني.. لكنهن لا يملكن سلطة التأويل.. ولا كرسى التفسير.. ولا حتى الحق فى مساءلة من يفسر.

رغم الأصوات المتزايدة داخل المجتمعات الدينية للمطالبة بإعادة النظر فى أدوار المرأة، إلا أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ما زالت متمسكة برفضها رسامة المرأة كاهنة، مستندة فى ذلك إلى أسس لاهوتية وتاريخية وتراثية، لا إلى انتقاص من قدرها.

هذا ما أكده القس الدكتور مارتيروس جمال، كاهن بمطرانية ديروط ومدرّس بالكلية الإكليريكية، موضحًا أن الرفض لا يعنى إقصاء المرأة أو التقليل من شأنها، بل هو مرتبط بفهم الكنيسة لطبيعة السر الكهنوتى كما تسلمته من العهد الرسولى الأول.

يشرح القس مارتيروس: "السيد المسيح نفسه، حين اختار تلاميذه الاثنى عشر، اختار رجالا فقط، رغم أن الإنجيل يذكر بوضوح وجود نساء كثيرات تبعنه وخدمنه من أموالهن، مثل مريم المجدلية، ويونا امرأة خوزي، وسوسنة، وغيرهن (لوقا ٨: ٢-٣). لكن لم تُرسَم أى امرأة كرسول. والآباء الرسل ساروا على نفس النهج، فاختاروا رجالا للكهنوت والأسقفية، دون أن يُسجل تاريخ الكنيسة الأولى وجود كاهنات". ويضيف أن هذا التصور ليس وليد التقاليد فقط، بل مرتبط بطبيعة الكاهن داخل الليتورجيا الأرثوذكسية: "الكاهن يمثل المسيح نفسه أثناء الخدمة، خصوصًا فى سر التناول، والمسيح، والابن المتجسد جاء فى صورة رجل. لهذا فإن الكنيسة ترى أن الكهنوت مرتبط بهذا التمثيل الرمزى واللاهوتي، الذى لا يتكرر خارج سياقه".

حتى السيدة العذراء مريم، رغم قداستها الفائقة، لم تمنح رتبة كهنوتية، وهو ما يراه القس مارتيروس دلالة قاطعة: "إن كانت العذراء مريم، بكل ما لها من طهارة واستحقاق، لم تُسام كاهنة، فمن من نساء العالم يفوقها قداسة؟ هذا يُظهر أن الأمر لا يتعلق بالمكانة أو القيمة، بل بطبيعة الدور والسر".

إخلال بالثوابت

ويؤكد أن الكنيسة الأرثوذكسية تؤمن بالمساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، لكنها تميز بين المساواة وبين التماثل، موضحًا أن: "لكل من الرجل والمرأة دور خاص يكمل الآخر داخل جسد الكنيسة، فكما أن الرجل لا يستطيع أن يلد، كذلك الكهنوت ليس دورًا لكل إنسان، بل هو دعوة وسر، خاضع لنصوص إنجيلية وتقاليد رسولية مستقرة منذ ألفى عام".

ويتابع: "ولا توجد رسالة أو خطاب كتابى موجه لامرأة بصفتها كاهنة فى الكتاب المقدس، كتلك التى أرسلت إلى تيموثاوس او تيطس.. كما أن صلوات سر الكهنوت، وليتورجية الرسامة، مستقرة وثابتة منذ الكنيسة الأولى، ولا تحتوى على طقس خاص برسامة المرأة. ولهذا تعتبر الكنيسة أن كهنوت المرأة هو إخلال بالثوابت الإنجيلية والرسولية، وليس مجرد قضية معاصرة قابلة للنقاش".



المرأة في الكنيسة

ورغم وضوح موقف الكنيسة بشأن كهنوت المرأة، إلا أن القس مارتيروس يؤكد أن ذلك لا يعنى إقصاء النساء من الحضور داخل الحياة الكنسية: "الكنيسة لا تحرم المرأة من التعليم أو الخدمة. بالعكس، هناك أصوات نسائية لاهوتية بارزة جدًا فى الكنيسة القبطية المعاصرة، وحضور قوى فى التعليم والتأليف والقيادة الروحية".

ويعدد القس مارتيروس أشكال مشاركة المرأة القبطية قائلا:

١. المكرسات والشماسات: وقد تم إحياء طقس رسامتهن فى عهد البابا شنودة الثالث، الذى قام عام ١٩٧٩ برسامة عدد كبير من الشماسات، فى خطوة تعكس اعتراف الكنيسة بأهمية دور المرأة فى الخدمة.

٢. خدمة التعليم والتربية الكنسية: إذ تشارك النساء بقوة فى مدارس الأحد، والتكوين الروحى للأجيال الجديدة، وقيادة فرق التعليم والافتقاد.

٣. الراهبات كقامات روحية: مثل الأم إيريني، رئيسة دير أبو سيفين، التى كانت مرشدة روحية لعدد من الكهنة والرهبان والراهبات.

٤. المساهمات الفكرية واللاهوتية: فعدد من النساء حصلن على درجات أكاديمية عليا فى اللاهوت. وتُعد الدكتورة وداد عباس أول قبطية تحصل على درجة الدكتوراه فى العلوم اللاهوتية، ولا تزال أطروحتها "الفداء عدل ورحمة" تُطبع حتى اليوم.

٥. التدريس الأكاديمى فى المعاهد والكلّيات: وتشارك فيه أسماء بارزة مثل الدكتورة نجلاء حمدى بطرس (معهد الدراسات القبطية)، والدكتورة عايدة نصيف (بكلية الأنبا رويس)، والدكتورة نيفين نيروز (بأكليريكية الفيوم)، وغيرهن.

ويختم القس مارتيروس حديثه بالتأكيد على أن المرأة القبطية "ليست مهمّشة داخل الكنيسة، بل فاعلة ومؤثرة، حتى وإن لم تكن كاهنة"، معتبرًا أن جوهر الخدمة فى الكنيسة لا يرتبط فقط بالرتب الكهنوتية، بل "بمقدار ما تعطيه النفس من محبة وتعليم وشهادة حية للمسيح".



القس مارتيروس جمال: كهنوت المرأة إخلال بالثوابت الرسولية.. لكنها حاضرة بقوة فى التعليم والخدمة.

لا مانع ديني

وعن أسباب غياب المرأة عن مواقع القيادة الدينية فى المؤسسات الرسمية، أوضح الشيخ أسامة إبراهيم، إمام وخطيب بوزارة الأوقاف، أنه لا يوجد مانع دينى يحول دون تولى النساء مناصب مثل الإفتاء أو الاجتهاد الفقهي، قائلا: "أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كانت تُفتى كبار الصحابة، وكانوا يأخذون عنها العلم، وكذلك أم الدرداء وغيرهن. واليوم، هناك العديد من الأستاذات فى الجامعات يقمن بدور محورى فى التعليم الشرعى والبحث العلمى والإشراف الأكاديمي، ولا مانع من تولى المرأة مسؤولية الإفتاء إذا امتلكت الكفاءة العلمية".

وبخصوص قدرة المرأة على الاجتهاد الفقهي، أكد الشيخ أسامة أن المرأة مؤهلة لذلك دينيًا، مضيفًا: "نعم، هناك نساء قدّمن اجتهادات فقهية متميزة، مثل الأستاذة الدكتورة زينب أبو الفضل. وما يحول دون وصولهن لمناصب قيادية فى مؤسسات الإفتاء ليس الدين، بل غياب التركيز الإعلامى على دورهن، إلى جانب ثقافة ذكورية ما زالت حاضرة فى المجتمع المصري، تجعل من الصعب على البعض تقبّل امرأة على رأس مؤسسة دينية كبرى".

هيمنة ذكورية

أما عن هيمنة الرجال على خطاب الجمعة، والمنابر الإعلامية، ومصنفات الفقه الكبرى، فرأى الشيخ أسامة أن الوضع بدأ يتغير نسبيًا، قائلا: "شهدنا خلال السنوات الأخيرة اهتمامًا كبيرًا من وزارة الأوقاف بتأهيل الواعظات وتمكينهن من أداء دورهن داخل المجتمع، خصوصًا منذ فترة الدكتور أسامة الأزهري. لكننا بحاجة إلى مزيد من الظهور الإعلامى للواعظات. أما خطبة الجمعة، فقد اشترط الفقهاء الذكورة لصحتها، وهو أمر تعبدى لا مجال للاجتهاد فيه، لكن لا مانع من إلقاء الدروس الخاصة بالنساء عقب الصلاة فى المساجد".



الشيخ أسامة إبراهيم: المجتمع لا يتقبل قيادة المرأة للمؤسسة الدينية، والذهنية الذكورية أقوى من النص

وفيما يخص قضايا الطلاق والنفقة والخلع، أكد أن دور المؤسسة الدينية يظل فى حدود البيان الشرعى فقط: "دور المفتى أو الواعظ ينحصر فى إصدار الحكم الفقهى وشرحه للناس. أما التطبيق والتنفيذ فليس من مهامه، بل من مهام اللجان التشريعية فى مجلس النواب، وهى تقوم بذلك وفق مقتضيات الواقع المجتمعي".

وعند سؤاله عن ميراث المرأة المسيحية، ولماذا لا يفتح الأزهر نقاشا فقهيًا حول هذه المسألة، ردّ بأن: "المرأة المسيحية تتوارث وفق شريعتها، والسؤال يجب أن يُوجّه لرجال الدين المسيحيين، لا للأزهر. أما عن الشريعة الإسلامية، فهى لا تتغير، لكن الفقه يتغير بحسب الظروف، فهناك فرق بين الشريعة، وهى النصوص الكلية الثابتة، وبين الفقه الذى يُبنى على فهم النصوص ويخضع للاجتهاد والتجديد بتغير الزمان والمكان".

وعن مسؤولية النصوص أم تأويلاتها، ختم الشيخ أسامة تصريحاته قائلا: "المشكلة ليست فى النص، بل فى فهمه وتنزيله على الواقع. النص ثابت، لكن تأويله يجب أن يراعى الواقع الثقافى والسياسى والاجتماعي. وهذا ما يُعرف بفقه المقاصد. والتجديد ليس ترفًا بل ضرورة لصلاحية الشريعة لكل زمان ومكان".

فى نهاية المشهد، تظل الأسئلة معلقة: متى يكون للنساء مكان على المنبر لا باعتبارهن أصواتا تجميلية بل شريكات فى النظر، والتأويل، والقرار وهل تكون الخطوة الأولى هى مراجعة النص؟ أم كسر احتكار من يقرأونه؟

تقرير: مادونا شوقي

منابر بلا معلمين.. وكهنة تحت الضغط في القرى المنسية:

التعليم الكنسي ينهار.. وجيل جديد يبحث عن إجابات لا يجدها

قرى الصعيد والمناطق الفقيرة، تبدو الكنيسة حاضرة كجدران وقدّاسات، لكنها غائبة كمنهج وتفكير.. الأزمة لا تبدأ من ندرة الكهنة ولا تنتهى عند ضعف الإكليريكيات.. وإنما تمتد لتشمل علاقة مأزومة بين جيل جديد لديه أسئلته، وخدمة لا تملك أدوات الإجابة.

فى كثير من القرى يخدم كاهن واحد، ثلاث أو أربع مناطق، يقود قدّاسًا فى الصباح ويتدخل فى نزاع عائلى بعد الظهر، ويُسأل مساء عن المثلية والإلحاد والحرية، الضغط النفسى ليس رفاهية يمكن مناقشتها، بل هو واقع يومى مرهق ومتواصل. الكاهن فى الأقاليم لا يعد راعيًا فقط، فهو مسؤول اجتماعي، وموجه نفسي، ومتحدث رسمى باسم مؤسسة دينية تعانى من المركزية الشديدة..

الإكليريكيات فى المحافظات لا تتساوى مع مثيلاتها فى العاصمة، فى القاهرة، توجد مكتبات، محاضرات، ورعاية فكرية ولاهوتية مستمرة، أما فى الأقاليم.. فغالبا ما يدرس الخدام بعضهم البعض، وتستخدم مناهج قديمة لا تلامس واقع الشباب، ولا تقترب من قضايا العصر، الفجوة التعليمية تصنع فجوة فى الوعى وهذه بدورها تخلق عزلة بين الكنيسة وأبنائها.

المشكلة تمتد من الإمكانات، إلى الرؤية، فهل ترى الكنيسة أن التعليم حق متكافئ لكل من يشعر بالانتماء إليها، أم امتياز لمن يسكن بالقرب من الكاتدرائية؟ هل تدرك أن الأسئلة اللاهوتية المعقدة باتت تطرح فى قرى بسيطة.. وأن الإنترنت ووسائل التواصل باتت تفتح عيون شباب الصعيد على ما هو أبعد من تقاليد الرعية؟ هل تستعد المؤسسة الكنسية لتجديد خطابها التعليمى فى الأطراف، أم تكتفى بالحفاظ على ما تبقى من الحضور الرمزي؟

فى الوقت الذى يواجه فيه الكهنة وحدهم هذا الضغط.. تغيب سياسات واضحة من الكنيسة لمعالجة الأزمة.. لا خطط لتوزيع الكهنة بعدالة ولا دعم منهجى للإكليريكيات المحلية ولا تدريب مستمر على التعامل مع قضايا الجيل الجديد.. والأسوأ أن مجرد طرح هذه الأزمة قد يفهم باعتباره تطاولا أو تشكيكا، رغم أن السؤال لا يتعلق بإيمان الناس.. يل بمستقبلهم..

هذا الحوار يفتح بابًا لسؤال أوسع: كيف يمكن لكنيسة عمرها قرون أن تواجه أسئلة جيل جديد فى قرية نائية بلا مكتبة ولا مرشد؟ وكيف يتحول التعليم من عبء على كاهن مرهق، إلى مشروع جماعى يعيد للكنيسة دورها كمعلمة ومرشدة؟ الجواب، حتى الآن، ليس عند الكاهن وحده. بل فى مكان أبعد، حيث تتخذ القرارات، وتنسى الأقاليم.

علق القس يوساب عزت، أستاذ الكتاب المقدس بالكلية الإكليريكية والقانون الكنسى بالمعاهد الدينية، إن توزيع الكهنة بين المحافظات لا يعد مسألة إدارية بحتة كما يظن البعض، بل هو أمر رعوى وروحى فى جوهره، تراعى فيه احتياجات الخدمة، ونضوج الدعوة، وتقدير صوت الشعب، وإرشاد الروح القدس من خلال قيادة الأب البطريرك والأساقفة المسؤولين عن كل إيبارشية.



القس يوساب عزت: التعليم الكنسي في الأقاليم مدعو ليخاطب فكر الجيل الجديد بلغته دون تفريط في الثوابت

وأضاف: من حيث المبدأ، تسعى الكنيسة لتحقيق العدالة، بحيث يكون فى كل منطقة كهنة كافين يرعون الشعب، ويخدمون الأسرار، ويقودون العمل الروحى والتعليمى والاجتماعي.. لكن على أرض الواقع قد نلحظ تفاوتا فى أعداد الكهنة، حيث تتمتع بعض المناطق الحضرية بوفرة، بينما تعانى القرى والنجوع من قلة واضحة، خاصة فى المناطق النائية والحدودية.. وهذا التفاوت نتيجة طبيعية لعوامل بشرية وجغرافية وخدمية.

وأوضح أن معايير توزيع الكهنة تشمل عدة محاور، أولها احتياج الخدمة الفعلي، بحسب عدد الشعب المسيحي، وامتداد المنطقة جغرافيا، وكثافة الخدمات المقدمة، كما تلعب الظروف الأمنية والجغرافية دورا فى صعوبة التعيين ببعض المناطق إلى جانب ذلك، تراعى الكنيسة صوت الشعب المحلي، حيث تختار غالبية الكهنة من أبناء الكنيسة نفسها، وليس من المعتاد نقل كهنة بين الإيبارشيات إلا لضرورات قصوى، وأكد أن الكنيسة تصلى وتصوم قبل سيامة أى كاهن، وتسير فى التعيينات بإرشاد الروح، لا بمنطق الحسابات وحده.

وتابع: أحيانا، لا يتوفر فى بعض الإيبارشيات كوادر صالحة للرسامة، ما يفرض تحديا حقيقيا، لأن الكنيسة لا ترسم من يريد، بل من اختبرته فى خدمته وسيرته واستعداده لحمل نعمة الكهنوت..

وأشار إلى أن المجمع المقدس يشجع مؤخرا على إرسال كهنة من الإيبارشيات الغنية إلى المناطق الأكثر احتياجا للخدمة المؤقتة، كما يجرى تطوير منظومة التعليم اللاهوتى والتأهيل الرعوي، بهدف تحقيق عدالة توزيع لا تقاس بالأعداد فقط، بل بالكفاءة والاستجابة لاحتياجات النفوس..



التعليم الكنسي

وفيما يخص التعليم الكنسي، اعتبر عزت أن السؤال عن طبيعة التعليم فى الإكليريكيات الإقليمية يفتح بابا واسعا للحديث عن مسؤولية الكنيسة فى إعداد خدام قادرين على مواجهة الفكر المعاصر. وقال: الإكليريكيات بالأقاليم تدرس مناهج معتمدة من الكلية الأم، تشمل العقيدة واللاهوت الدفاعى والكتاب المقدس والتاريخ، لكن التحدى الأكبر يكمن فى طريقة عرض هذه المواد، هل تقدم بروح زمانها وتفعل الفكر النقدي؟ أم تكتفى بالنقل من التراث؟.

وأوضح أن هناك تفاوتا بين الإكليريكيات، فبعضها يلامس القضايا الفكرية الحديثة مثل الإلحاد والهوية والحرية الفردية، لكن غالبا من زاوية تقليدية دون حوار حقيقى مع الواقع.

وأردف: المشكلة أن بعض الطلاب يعرفون ما قاله الآباء، لكن لا يعرفون كيف ينقلونه بلغة يفهمها جيل اليوم، وهنا يتحول التعليم من عملية تنشئة روحية وفكرية إلى مجرد حفظ معرفي.

وشدد على أن الكتاب المقدس نفسه هو النموذج الأعلى للتعليم العصري، إذ قدم السيد المسيح التعليم بلغة الناس، وخاض حوارات مباشرة مع المختلفين، وركز على الشخص لا على القوالب، كما دعا الإكليريكيات إلى تجديد مناهجها، ودمج قضايا مثل الإلحاد، والفلسفة الحديثة، والنوع الاجتماعي، مع تشجيع الطلاب على البحث والنقاش ودمج الخبرة الرعوية بالتعليم الأكاديمي..

وكشف عن أن اللجنة المجمعية للكليات الإكليريكية تعقد سنويا سيمينارات لتحديث المناهج، وقد شارك فيه شخصيا دعما لهذا المسار الإصلاحي..

وعن تطوير الكاهن لنفسه رغم ضغوط الخدمة، قال: الزمن والجهد محدودان، لكن الكتاب يدعونا أن نكون وكلاء أمناء، ناظرين أسرار الله، ومفصلين كلمة الحق باستقامة.. واعتبر أن التطور يبدأ من تغذية روحية يومية، وقراءة مركزة لا مفرطة، والمشاركة فى مجموعات دراسية بين الكهنة، والاستفادة من الوسائط الحديثة، وكتابة تأملات روحية.

وأكد أن الكنيسة القبطية لا تشترط فراغا زمنيا للكاهن، بل اشتياق حقيقى وتدريب روحى دائما، مستشهدا بقول بولس لتلميذه: مواظبا على القراءة والوعظ والتعليم... تأمل فى هذا وكن فيه، لكى يكون تقدمك ظاهرا.

وفى ما يتعلق بالفجوة بين خطاب الكنيسة التربوى واحتياجات الجيل الجديد، اعترف عزت بوجود فجوة آخذة فى الاتساع، مشيرا إلى أن الكنيسة رغم عمقها اللاهوتى وثبات إيمانها، لا تزال أحيانا تفتقر إلى أدوات توصيل مناسبة لهذا الجيل، الذى يعيش فى عالم متسارع، بصري، تفاعلي، مليء بالأسئلة الوجودية..

وقال: "الكنيسة لا تحتاج أن تغير الإيمان، بل أن تجدده فى شكله ولغته.. وكما قال بولس: صرت للكل كل شيء، علينا أن نخاطب كل جيل بلغته، دون المساس بجوهر الحق.

وأضاف: الكرازة الحقيقية هى أن نكون قريبين من الناس، لا أن نخيفهم، أن نشرح لا أن نملي، أن نحاور لا أن نحاضر.

وختم قائلا: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قادرة على تجديد لغتها التربوية دون أن تفرط فى الثوابت، وعندما تضع يدها بصدق على احتياجات هذا الجيل، ستجده يعود بقلبه كله إلى حضنها.

تقرير: مادونا شوقي

المشهد
العدد 341 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م الموافق 18 صفر 1447 هـ

قالت العرب
"مقهى، وأنت مع الجريدة جالسٌ
في الركن منسيًا، فلا أحد يهين
مزاجك الصافي، ولا أحدٌ يفكر باغتيالك
كم انت منسيٌ وحُرٌ في خيالك!"

اختلاف الفقه واللاهوت حول الختان والمثلية والإجهاض

من يفسر المقدس؟





فى كل لحظة جدل مجتمعى حاد، يتكرر المشهد، قضية أخلاقية تشتعل، فتاوى وبيانات تصدر، والنصوص الدينية تستدعى لحسم المواقف، من ختان الإناث إلى المثلية الجنسية، وصولا إلى الإجهاض، يبدو دائما أن "النص المقدّس" هو الفيصل.. لكن الواقع لا يقول ذلك. النص، مهما بلغت قداسته، لا يتكلم وحده، من يتكلم باسمه هو المؤسسة الدينية، وكل مؤسسة تقرأ النص من الزاوية التى تخدم تصورها الاجتماعى واللاهوتى والسياسي.. وهنا لا نكون أمام "كلمة الله" فى صيغتها المجردة، بل أمام تأويلات تنتج وجه المجتمع وحدود المسموح والمرفوض فيه..



مظهر شاهين: ختان الإناث عادة ضارة لا عبادة، والمثلية انحراف، والاجتهاد حق للمؤهلين لا لكل من هب ودب



عمرو إمام: الإنسان هو الغاية وكل خطاب دينى لا يبدأ من هنا يفقد صلته بالرحمة والعدل

كاهن قبطي: الختان ليس من المسيحية.. والمثلية ميل لا يستوجب إدانة.. والإجهاض اعتداء على الروح منذ التكوين.

ختان الإناث: حين يستخدم الدين لتبرير العرف

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية تعلن بوضوح رفضها لختان الإناث، وتعتبره عادة فرعونية لا تمت للمسيحية بصلة، اللاهوت المسيحى لا يحتوى على أى سند يربط بين الطهارة الجسدية والقطع أو التشويه، ومع ذلك، تستمر الممارسة فى بعض الأوساط الريفية المسيحية، لا بدافع العقيدة، بل تحت ضغط ثقافة "العيب" والتقاليد..

أما فى السياق الإسلامي، فالصورة أكثر تعقيدا، دار الإفتاء المصرية تعتبر الختان عادة ضارة ومرفوضة، لكن بعض المشايخ لا يزالون يستندون إلى أحاديث ضعيفة أو أقوال فقهية لتبرير استمراره، بوصفه "سنة" أو "مكرمة"، فى الحالتين، لا يظهر النص المقدس بوصفه مرجعا قاطعا، بل يتم انتقاؤه وفق ما يناسب المنظومة الاجتماعية..

المثلية الجنسية: هل الخطأ فى الميل أم فى الفعل؟

فى قضية المثلية الجنسية، تتفق المؤسسات الدينية الكبرى على الرفض، لكن تختلف فى زاوية المقاربة.. الأزهر يتبنى موقفا يعتبر المثلية "انحرافا سلوكيا محرما شرعا"، مستندا إلى قصة قوم لوط فى القرآن، دون التفريق غالبا بين الميل والرغبة من جهة، والسلوك والممارسة من جهة أخرى، اللغة المستخدمة فى الخطاب الرسمى والأزهرى تميل إلى الحدة، وتدين المثلى لا فقط كمخطئ دينيا، بل كمهدد لمنظومة الأخلاق..

أما الكنيسة، فتعالج المسألة من زاوية لاهوتية تميز بين الإنسان وفعله، المثلية تعرف كـ ميل غير مرغوب فيه، يطلب من صاحبه ألا يترجمه إلى ممارسة، بل أن يخوض صراعا روحيا لكبحه، لا يعترف بالمثلية كهوية، بل ترى كتجربة أو اضطراب يحتاج إلى دعم روحى أو تقويم نفسي..

الإجهاض: بين قداسة الحياة وحدود الاجتهاد

فى قضية الإجهاض، تظهر تباينات جوهرية بين الكنيسة والمؤسسة الإسلامية.. الكنيسة القبطية ترى أن الحياة تبدأ منذ لحظة الإخصاب، وترفض الإجهاض تماما، حتى فى حالات الاغتصاب أو الخطر الطبي، انطلاقا من مبدأ لاهوتى يعتبر الجنين روحا كاملة، وقتله فعل يتعارض مع الوصايا الإلهية..

أما الفقه الإسلامي، فتنفتح فيه مساحة للاجتهاد، يفرق عدد من الفقهاء بين ما قبل وما بعد "نفخ الروح" (اليوم ١٢٠ من الحمل)، ما يفتح بابا للترخيص بالإجهاض فى بعض الحالات الطبية أو الاجتماعية، خاصة إذا كان فى الحمل ضرر مؤكد على الأم، هنا، تستخدم أدوات مثل "المصلحة" و"رفع الحرج" لتوسيع أفق القرار الديني، وهو ما لا يتوفر بنفس المرونة فى الموقف الكنسي..

فى جوهر الأمر: من الذى يفسر؟

القضية ليست فى النصوص نفسها، بل فيمن يملك سلطة تفسيرها وتحديد معناها وسياقها وحدود تأثيرها، النصوص لا تحكم الواقع، بل تعاد قراءتها بما يتناسب مع مصالح المؤسسات الدينية، وتصورها للأخلاق والمجتمع..

ثوابت لاهوتية

علق كاهن قبطى أرثوذكسي، رفض ذكر اسمه، إن تأويل النصوص فى قضايا مثل الجسد والهوية يخضع أحيانا لمعادلات اجتماعية أكثر منه لثوابت لاهوتية، موضحا: فى الكنيسة، نؤمن أن الجسد ليس شيئا نجسا، بل هو هيكل للروح القدس، وبالتالى كل ما يخص الجسد يجب أن يفهم فى ضوء الكرامة لا القمع.

وأضاف: "لا يوجد سند كتابى يدعم ختان الإناث، بل العكس، هناك رفض واضح لأى عنف أو تشويه للجسد.. لكن الكنيسة تصطدم أحيانا بتقاليد المجتمع، خاصة فى الأقاليم، حيث يختلط الدين بالعرف، ويمارس ما لا تؤمن به الكنيسة صراحة، دون قدرة كافية على المواجهة..

أما عن المثلية، فقال: الكنيسة تميز بين الشخص والفعل، الميل المثلى لا يحاسب عليه الإنسان، بل يدعى إلى حمل صليبه ومقاومة ميوله، كأى تجربة بشرية، لكننا لا نؤمن بالمثلية كهوية أو كحق يُطالب به فى المجال العام..

وتابع: نحن ندعو للرحمة لا للإدانة، لكننا لا نساوى بين القبول والمحبة، وبين التبرير والتطبيع وهذا خيط رفيع يصعب على البعض فهمه..

وحول الإجهاض، أكد: الحياة فى المفهوم المسيحى تبدأ من اللحظة الأولى، من التكوين داخل الرحم، ولذلك نرفض الإجهاض كمبدأ عام.. لكن فى بعض الحالات القصوى التى تتعرض فيها حياة الأم للخطر، نحيل القرار لضمير الأطباء والأسرة، مع توجيه رعوي، وليس بسلطة قسرية..

وختم قائلاً: النص لا يفسر نفسه بنفسه، بل يفهم فى ضوء محبة المسيح، وأى تفسير ينتج إدانة أو عزلة أو قسوة، يحتاج لمراجعة، لأن روح الإنجيل ليست حرفا يطبق، بل حياة تعاش..

فوائد طبية

وقال الدكتور مظهر شاهين، إمام وخطيب مسجد عمر مكرم وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، إن مسألة الختان يختلف الحكم فيها بين الذكور والإناث، موضحًا: "بالنسبة للذكور، يُعتبر الختان من سنن الفطرة فى الإسلام، وقد اتفق جمهور العلماء على أنه واجب أو قريب من الوجوب، لما ورد فى الحديث: (خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر). كما أن له فوائد طبية معتبرة، تتعلق بالنظافة الشخصية والوقاية من بعض الأمراض".

وأضاف: "أما ختان الإناث، فالوضع مختلف تمامًا. فهو ليس له أصل فى القرآن، وأحاديثه النبوية إما ضعيفة أو غير ملزمة شرعًا، كما أن الأطباء يحذّرون من أضراره الجسدية والنفسية. لذلك، اعتبره كثير من العلماء عادة اجتماعية لا عبادة، بل وقد يُعدّ مخالفًا لمقاصد الشريعة التى تؤكد على (لا ضرر ولا ضرار). ورغم وضوح الموقف الشرعى والطبي، لا يزال ختان الإناث يُمارَس فى بعض المجتمعات، بدافع الحفاظ على الحياء أو العفة، وهى مفاهيم يجب أن تُغرس بالتربية والوعي، لا بالجراحة أو الإكراه".

سلوك محرم

وحول مسألة المثلية الجنسية ولماذا تُعرض دائمًا كخطر مجتمعي، علّق شاهين قائلًا: "فى الرؤية الإسلامية، تُعدّ المثلية سلوكًا محرّمًا، وقد ورد ذكرها فى القرآن فى سياق قوم لوط، حيث وُصف الفعل بأنه (فاحشة). ويستند هذا الموقف إلى الحفاظ على الفطرة الإنسانية، والأسرة الطبيعية، والتوازن بين الجنسين".

وتابع: "ومع ذلك، فإن الشريعة الإسلامية لا تبرر الاعتداء على الأشخاص أو إهانة من يحملون هذه الميول، بل تُفرّق بين رفض السلوك واحترام كرامة الإنسان. فكل إنسان له حق فى الحماية من العنف والإذلال، حتى وإن خالف الشرع. أما اجتماعيًا، فالمجتمعات الشرقية تنظر للمثلية كتهديد للمنظومة الأخلاقية وللاستقرار الأسري، خاصة مع محاولات فرضها كهوية علنية دون اعتبار للسياق الثقافى والديني. ومع ذلك، لا يمكن إنكار أن بعض حالات المثلية تعود لأسباب نفسية، أو صدمات فى الطفولة، أو اضطرابات عاطفية، تستدعى علاجًا نفسيًا لا هجومًا مجتمعيًا". وأكد أن التحدى الحقيقى هو "فى بناء خطاب يوازن بين التحصين الأخلاقي، والرحمة الإنسانية، دون إفراط أو تفريط".

نفخ الروح

أما عن مسألة الإجهاض، فأوضح شاهين أن الإجهاض قبل نفخ الروح هو محل اجتهاد معتبر فى الفقه الإسلامي، لكن بشروط وضوابط، مضيفًا: "فقد اتفقت المذاهب الفقهية على أن الروح تُنفخ فى الجنين بعد ١٢٠ يومًا (أى أربعة أشهر)، وأن الإجهاض بعد ذلك لا يجوز إلا فى حال تعرّض حياة الأم للخطر".

وتابع: "أما قبل هذه المدة، فقد أجاز بعض العلماء الإجهاض خلال الأربعين يومًا الأولى، إذا وجدت أسباب قوية، مثل وجود تشوهات خطيرة بالجنين، أو مخاطر صحية على الأم، أو ظروف اجتماعية وإنسانية قاهرة. فى المقابل، اشترط آخرون ضوابط صارمة، كى لا يتحوّل الإجهاض إلى وسيلة عبثية أو تهرّب من المسؤولية. ومن الناحية الاجتماعية، يُعتبر الإجهاض العشوائى خطرًا على صحة المرأة واستقرار الأسرة، ويثير جدلًا بين (حق المرأة فى جسدها) و(حق الجنين فى الحياة). ولهذا فإن تنظيم الإجهاض فى هذه المرحلة وفق رأى طبى موثوق، وتحت مظلة الشرع، يحقق التوازن بين الحفاظ على النفس، واحترام الحياة، ومراعاة الكرامة الإنسانية".

الاجتهاد

وحول سؤال هل توجد مساحة لاجتهاد فردى فى تفسير القرآن، قال شاهين: "الاجتهاد فى تفسير القرآن ليس حكرًا على مؤسسة دينية بعينها، لكنه أيضًا ليس مباحًا لكل فرد بلا تأهيل. فالقرآن الكريم كتاب هداية، لكن فهمه وتفسيره يتطلب أدوات علمية راسخة، كإتقان اللغة العربية، وفهم أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، واستيعاب مقاصد الشريعة، وأصول الفقه".

وأكد أن "الاجتهاد لا يُمنع، ولكن يُشترط أن يكون من أهل الاختصاص، حتى لا يُساء تفسير النصوص أو تُوظّف فى غير مواضعها، كما تفعل بعض التيارات المتطرفة أو العابثة".

وختم تصريحه بالقول: "المؤسسات الدينية، مثل الأزهر الشريف، لها دور أساسى فى ضبط المسار الاجتهادي، لا فى احتكار الخطاب، وتسعى لحماية النص من التلاعب، مع فتح المجال أمام المجتهدين المؤهلين. وفى المقابل، فإن الجمود أو احتكار التفسير قد يؤدى إلى انغلاق فكري، ويُبعد الناس عن الدين. نعم، توجَد مساحة للاجتهاد الفردي، لكنها مسؤولية علمية وليست حرية مطلقة، ويجب أن تتم فى إطار المرجعية المؤسسية، ضمانًا لصحة الفهم، وصونًا للدين من التوظيف أو العبث".

خريطة فكرية

وعلق الباحث الحقوقى عمرو إمام، تعليقا على ما ورد من رؤى دينية وفقهية داخل المجتمعين الإسلامى السنى والمسيحى الكنسي: لا يمثل موقفى الشخصى بأى حال، بل هو محاولة لرسم خريطة فكرية دقيقة لما هو سائد داخل المنظومتين الدينيتين، الإسلامية والمسيحية، بخصوص مجموعة من الأسئلة الجدلية، ما ورد من إجابات يعكس التيار الغالب كما يظهر فى الفقه والتقليد والممارسة الاجتماعية، وليس بالضرورة ما أتبناه أو أؤمن به."

وأضاف: "لكن دورى كباحث لا يتوقف عند النقل أو التصنيف، بل يفرض على أيضا أن أمارس حقى فى الفحص والمساءلة، أنا أنطلق من موقع يستند إلى استقلال العقل وحرية الضمير، ولا أتعامل مع أى سلطة دينية باعتبارها فوق النقد، ما يهمنى ليس ما اعتاد الناس اعتباره مقدسا، بل ما يثبت نفسه للوعى الإنسانى من حيث المنطق والعدالة."

خطاب مأسور

وعلق على الطروحات الدينية فى القسم الإسلامى قائلًا: "نحن أمام خطاب فقهى لا يزال مأسورا بالتقليد، فى قضايا مثل الختان والمثلية والإجهاض، رغم وجود اجتهادات جديدة، إلا أن الصوت السائد ما زال يقدم النصوص على حساب الإنسان، ويغلب عليه منطق التحريم والمنع والكبت، لا الفهم أو الرعاية أو احترام التجربة الفردية."

وتابع بخصوص المجتمع الكنسي: "المؤسسة الكنسية بدورها تحافظ على موقف صارم من المثلية، وتعلى من خطاب حفظ الأسرة على حساب احتياجات الأفراد النفسية والوجدانية، أما فى قضايا مثل الإجهاض، فالتعليم التقليدى يقدس الحياة منذ التكوين الأول، حتى فى الحالات التى تتطلب تدخلا لحماية حياة الأم، وفى تفسير النصوص، لا تزال الكنيسة تحتكر الفهم العقائدي، وتضع قيودا على الاجتهاد الفردي، بحجة حماية الإيمان من الانحراف."

سلطة قمعية

وأكد إمام: أنا لا أرفض الدين، لكننى أرفض أن يتحول إلى سلطة قمعية، تفرغ الإنسان من حريته وتكبله بالذنب، لا أؤمن بأن الفقه أو اللاهوت يحملان قيمة فى ذاتهما، بل فى مدى انسجامهما مع الكرامة والحرية الإنسانية، الموروث لا يمنح شرعيته من قدمه، بل من قدرته على خدمة الإنسان لا إخضاعه.

وختم تصريحه قائلًا: ما نحتاجه اليوم هو شجاعة فكرية لإعادة طرح الأسئلة المسكوت عنها، لا مزيدًا من الترديد لما قيل من قرون، الإنسان هو الغاية، والعقل هو الوسيلة، والحرية هى الطريق. وأى خطاب دينى لا ينطلق من هذا الثلاثي، هو خطاب فقد صلته بالحق والرحمة والعدالة.

تحقيق: مادونا شوقي

المشهد
العدد 341 - السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م الموافق 18 صفر 1447 هـ

قالت العرب

"من يدخل الجنة اولاً؟ من مات برصاص العدو ام من مات برصاص الأخ؟ بعض الفقهاء يقول: رب عدوُ لك ولدته أمّك"

قنبلة "إسرائيل الكبرى" التى ألقاها نتنياهو



خريطة إسرائيل الكبري على الزي العسكري

لم يكن مستغربا أن يعلن أقطاب تيار الصهيونية الدينية واليمين المتطرف فى إسرائيل مرارا عن رغبتهم فى تحقيق حلم "إسرائيل الكبرى" و"أرض الميعاد"، خاصة منذ بدء حرب الإبادة الجارية فى قطاع غزة.

وكان اقتصار هذه التصريحات على وزراء وأعضاء الكنيست التابعين لهذا التيار حجة لدى المدافعين عن إسرائيل، باعتبار أن هذه التصريحات لا تمثل الموقف الرسمى للحكومة الإسرائيلية ولا تمثل تحولا فى الرؤية الإستراتيجية للمؤسسة الإسرائيلية الرسمية تجاه محيطها وتجاه الإقليم عموما.

لكن تصريحات رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتنياهو الأخيرة لشبكة i٢٤ الإسرائيلية عكست تحولا جذريا فى السردية الإسرائيلية الرسمية التى يمثلها رئيس الحكومة شخصيا، وتبنيا رسميا لأول مرة لطموحات تيار الصهيونية الدينية التى لا ترى لإسرائيل أفقا بين جيرانها العرب، وإنما ترى فى الأفق دولة توراتية كبرى تبنى أطروحاتها بناء على الأساطير الدينية التوراتية المتعلقة بأرض الميعاد، والمسيح المنتظر ونهاية العالم والألفية السعيدة.خلال مقابلته، قال نتنياهو إنه يشعر أنه فى مهمة تاريخية وروحانية ترتبط بأجيال اليهود عبر العصور، حيث اعتبر أنه هنا "بتفويض من أجيال من اليهود".

ولما سأله الصحفى ما إذا كان هذا يشمل رؤية إقامة "إسرائيل الكبرى" أجاب بالموافقة بكل ثقة. لتخرج علينا صحيفة (زمان يسرائيل) بعنوان مركزي: "نتنياهو يقول إنه فى مهمة تاريخية وروحية ويُقر برؤية إسرائيل الكبرى".

وجاء فى الخبر أن نتنياهو قال فى المقابلة إنه يشعر بالارتباط الشديد برؤية "إسرائيل الكبرى" التى تشمل ما كان يفترض أن يكون دولة فلسطينية مستقبلية- فى اتفاقية أوسلو- إضافة إلى أجزاء من الأردن ومصر.

لا يمكن فصل هذه التصريحات عن طبيعة الموقف الذى قيلت فيه، فالصحفى الذى أجرى المقابلة مع نتنياهو هو الإعلامى المعروف شارون غال، وهو عضو كنيست سابق عن حزب "إسرائيل بيتنا" اليمينى الذى يرأسه أفيغدور ليبرمان.

وخلال المقابلة، قدم شارون غال لنتنياهو هدية تعبر حسب كلامه عن أحد الأمور التى حلم غال بها طوال حياته، وهى خريطة الأرض الموعودة، وكانت الهدية تميمة يحملها أتباع اليمين المتطرف تحمل خريطة إسرائيل الكبرى المعروفة باسم "أرض الميعاد" التى تشمل المساحة بين النيل والفرات، وسأله غال عند إهدائه هذه الهدية: (هل أنت تؤمن بهذه الرؤية؟) أى رؤية "أرض الميعاد" و"إسرائيل الكبرى"، فأجاب نتنياهو مرتين متتاليتين: "جدا".

هناك واحد من احتمالين اثنين لما رأيناه فى هذه المقابلة، الاحتمال الأول أن يكون نتنياهو وشارون غال متفقين تماما على سيناريو الحوار والمقابلة ليكشف نتنياهو توجهاته الجديدة على الملأ بهذا الأسلوب دون أن يبدو ذلك مقصودا.

وهذا أمر لا أستغربه على شخص مثل نتنياهو بما هو معروف عنه من تلاعب وخبث، وبذلك فإن نتنياهو كان يريد أن يظهر فى هذا الحوار بصورة الشخص الذى يكاشف الجمهور لأول مرة بمكنونات نفسه، وبما يعتبره "إخلاصا" عميقا للرؤية الدينية التوراتية للصراع، ولا يتورع عن كشف هذا الجانب فى شخصيته عندما يوضع تحت السؤال، وفى هذه الحالة فإن نتنياهو يحاول الحصول على تعاطف جمهور الصهيونية الدينية بشكل أكبر من السابق، ربما فى سياق حملته على قطاع غزة.

الاحتمال الثانى أن نتنياهو بالفعل لم يكن يتوقع السؤال، وأنه وجد نفسه فى موقف يحتم عليه أن ينحاز لأحد الطرفين: الصورة العلمانية القومية المعروفة لحزبه ودولته، أو الصورة الدينية التوراتية التى بات صوتها يعلو من قبل التيارات الدينية اليمينية وعلى رأسها الصهيونية الدينية.

وفى هذه الحالة فإن شارون غال كان ذكيا بحيث وضع فخا لنتنياهو لكشف حقيقة نظرته السياسية والروحانية الشخصية فيما يتعلق بالرؤية الدينية التوراتية التى يستند إليها اليمين المتطرف فى تعامله مع مجريات الصراع.

ونتنياهو معروف بمهارته المعهودة بالتخلص من أى موقف لا يرغب فيه أو يورط نفسه بتصريح من هنا أو هناك، ولطالما نأى بنفسه عن تصريحات أعضاء حكومته من تيار الصهيونية الدينية، وعلى رأسهم سموتريتش وبن غفير المثيرة للجدل حول أحلام إسرائيل الكبرى، والسيطرة على المسجد الأقصى، وضم الضفة الغربية، والسيطرة على الأردن، ولبنان، ومصر، وسوريا وغير ذلك.

لكنه فى هذه المقابلة، وأمام "هدية" شارون غال المرتبطة برؤية إسرائيل الكبرى لم يكن أمامه إلا طريقان: إما أن يحاول التلون والالتفاف على الأمر، ويحافظ على صورة إسرائيل العلمانية التى طالما تفاخر بها الإسرائيليون منذ عهد بن غوريون، أو أن يستفيد من هذه الفرصة ويجعل هذه المقابلة حجر زاوية لإعلان انحيازه التام إلى رؤية الصهيونية الدينية، وإعلان تغيير السياسة الرسمية الإسرائيلية لتكون قائمة على الأسطورة التوراتية التى ينادى بها تيار الصهيونية الدينية.

ويكون ذلك إعلانا لدولة جديدة ثيوقراطية بعيدة عن الصورة الأوروبية العلمانية التى لطالما حاول الإسرائيليون تسويقها أمام العالَم، سواء كان هذا فى سياق بحث نتنياهو عن الشعبوية فى أوساط اليمين فى إسرائيل، أو فى أوساط المؤيدين لإسرائيل من اليمين المسيحى المتطرف فى العالم.

ومن الواضح هنا أن نتنياهو اختار الطريق الثاني، فأعلن انحيازه للسردية الدينية التى يمثلها تيار الصهيونية الدينية، ليكون بذلك العضو الأحدث فى هذا التيار داخل حزب الليكود.

فالمعروف أن تيار الصهيونية الدينية بدأ مشواره السياسى من داخل حزب الليكود، حيث عمل الليكود على الاستفادة من هذا التيار بنفس القدر الذى عمل فيه التيار على الاستفادة من الليكود على مدى عشر سنوات تقريبا، فاستغل كل منهما قوة الآخر وقربه إلى حد ما من أطروحات الطرف الآخر، ودخل أعضاء كثر من تيار الصهيونية الدينية داخل حزب الليكود، وعملوا على نشر أفكاره بين أعضاء الحزب، وتحويل اتجاه الليكود إلى مسار الصهيونية الدينية.

ثم شكل أقطاب هذا التيار حزبهم الخاص المتمثل فى حزب "الصهيونية الدينية" بزعامة سموتريتش وحزب "القوة اليهودية" بزعامة بن غفير بعد شعورهم بأن قوة حضورهم فى الشارع تسمح لهم بالاستقلال عن الليكود.

بيد أن هذا لا يعنى اختفاء هذا التيار من صفوف حزب الليكود، فهو لا يزال يتمتع بحضور قوى فى حزب الليكود من خلال شخصيات مثل الوزير دودى أمسالم (وزير التعاون الإقليمي)، وأعضاء الكنيست عميت هاليفى (عرّاب مشروع قرار تقسيم المسجد الأقصى)، وماى جولان، ونسيم فيتوري، وأرييل كيلنر، وأفيخاى بوآرون.

ويمكننا القول اليوم إن نتنياهو بتصريحاته الأخيرة يكشف انضمامه الكامل لهذا التيار ليعلن تقريبا أن حزبه أصبح جزءا من تيار الصهيونية الدينية ويحمل أفكاره ويروج لها.

نتنياهو كان يعلم أبعاد كلامه، وكان يقصد كل كلمة قالها فى هذه المقابلة، فهو يعلم أن عبارة "إسرائيل الكبرى" أو "أرض الميعاد" تشمل أراضى دول كان يتفاخر دائما بعلاقته الدبلوماسية معها، وعلى رأسها الأردن، ومصر الملتزمتان باتفاقيات سلام مع إسرائيل، إضافة إلى أجزاء من السعودية التى لطالما تبجح بسعيه لإقامة علاقات دبلوماسية معها، فضلا بالطبع عن لبنان، وسوريا، والعراق.

وبذلك فإن نتنياهو إذ يعلن التزامه بهذه الرؤية فإنه يذهب إلى درجة إعلان تحلله من أى التزامات مسبقة لدولته سواء مع دول الإقليم أو العالم.

لا يمكن لنتنياهو التظاهر بأنه – على سبيل المثال – لم يكن يقصد "إسرائيل الكبرى" بمفهومها التوراتي، حتى وإن حاول هو أو بعض حلفاء إسرائيل أو المدافعون عنها التخفيف من وطأة تصريحاته تلك، وذلك لأن تصريحاته جاءت فى إطار التعليق على تميمة "إسرائيل الكبرى" التى أهداه إياها شارون غال خلال المقابلة، وهى تميمة تحمل خريطة إسرائيل الكبرى التى تشمل أجزاء من تلك الدول العربية.



ارض اسرائيل

ورد نتنياهو على ذلك لم يكن مجرد تعبير دبلوماسى أو حتى إشارة عامة، وإنما كان تعبيرا عميقا عن قناعة مطلقة، وذلك ما تمثله كلمة "جدا" التى استعملها مرتين، إضافة إلى انطلاقه بعدها فورا لاستذكار والده والجيل المؤسس للدولة بشكل عاطفى يضفى صبغة أيديولوجية عميقة على هذا المفهوم.

ولعل موقف الأردن الذى سارع بالاحتجاج على هذه التصريحات ورفضها مؤشرٌ على شعور الأردن بالتهديد المباشر مَن هذه التصريحات، وهذا يعنى أن رسالة نتنياهو وصلت بالفعل، وأنها فُهمَت بالضبط كما كانت دون مواربات ولا تبريراتَ، وخاصة على الصعيد الرسمي.

والواجب الآن على المحيط الإقليمى الرسمى أن يتعامل مع هذه التصريحات باعتبارها تشكل اتجاها سياسيا إسرائيليا رسميا جديدا لم يعد مقصورا على سموتريتش وبن غفير.

هذا الاتجاه العدائى الواضح تجاه المحيط العربى يستلزم وقفة جادة فى وجهه قبل أن يستفحل الأمر أكثر من ذلك، وهذه الوقفة ينبغى أن تتجاوز التنديدات والتصريحات السياسية والإعلامية إلى إجراءات حقيقية على الأرض، أولها وأهمها كشف ضعف الموقف الإسرائيلى فى حال واجهَ محيطا عربيا وإسلاميا موحدا، والملف الوحيد الذى يمكن أن يقلب المعادلة هنا هو كسر الحصار على غزة دون أى اعتبار لموافقة أو رفض نتنياهو ومستوطنى حكومته.

أما إن بقى الموقف العربى الباهت الضعيف على ما هو عليه، فإن نتنياهو سيتمادى أكثر وأكثر، وما دام اليوم قد كسر الخطوط الحمراء بإعلان التزامه العميق برؤيته التوراتية لإسرائيل الكبرى على حساب الدول العربية المجاورة، فإن الصمت والخذلان سيغريانه بتجاوز خطوط أخرى، وتحويل الهوس الدينى الذى يمثله اليوم بتسلئيل سموتريتش وإيتمار بن غفير وعميحاى إلياهو بأن يصبح الخط الرسمى لإسرائيل.

بقلم: د. عبد اللّه معروف
كاتب فلسطينى والمقال نقلا عن الجزيرة نت

مشروع إسرائيل الكبرى.. قراءة فى الأيديولوجيا والسياسة الصهيونية المتطرفة

كيف سيحقق نتنياهو حلمه بتأسيس إسرائيل الكبرى فى المنطقة؟

صرّح رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو، الثلاثاء (8/12)، بأنه يشعر أنه فى "مهمة تاريخية وروحية" مرتبطة برؤية "إسرائيل الكبرى".

وقال نتنياهو فى مقابلة مع قناة "آى □24حينما سئل عما إذا كان يشعر بأنه "فى مهمة نيابة عن الشعب اليهودي" أجاب بأنه "فى مهمة أجيال". وأضاف: "لذلك إذا كنت تسألنى عما إذا كان لدى شعور بالمهمة تاريخيا وروحيا، فالجواب هو نعم".

وأهدى المُحاور، لنتنياهو ما وصفه بأنه خريطة على شكل تميمة تُظهر "إسرائيل الكبرى".

إسرائيل الكبرى أو "إرتز يسرائيل"

لم يكن نتنياهو يطلق مجرد شعار سياسى أو عبارة دعائية، بل كان يستحضر مشروعًا أيديولوجيًا واستراتيجيًا ممتدًا عبر قرن من الزمن.

مصطلح "إسرائيل الكبرى" – أو "إرتز يسرائيل" – يشمل وفق المزاعم الإسرائيلية مساحات واسعة من الأراضى الفلسطينية المحتلة، وأجزاء من الأردن ولبنان وسيناء والجولان. وقد بدأ استخدامه سياسيًا بعد حرب 1967 ليصف الواقع الجديد الناتج عن السيطرة العسكرية على هذه المناطق.

لكن جذور الفكرة أعمق بكثير، إذ تتشابك مع عقائد تأسيسية فى الفكر الصهيونى مثل "نظرية الجدار الحديدي" و"عقيدة الأطراف"، وهى ليست مجرد أطروحات نظرية، بل خطط عملية تم تنفيذها على الأرض بمرور العقود.

الجدار الحديدى أو البقاء للأقوى

يعود أصل نظرية "الجدار الحديدي" إلى زئيف جابوتينسكي، أحد أبرز منظّرى الصهيونية فى النصف الأول من القرن العشرين.

كتب جابوتينسكى بوضوح أن المشروع الصهيونى لا يمكن أن يستمر أو يتطور إلا تحت حماية "سلطة مستقلة عن السكان الأصليين" تقيم حوله "جدارًا حديديًا" يمنع العرب من اختراقه.

هذا الجدار ليس بالضرورة ماديًا، بل هو سياسى وعسكري، هدفه أن يصل العرب إلى قناعة استحالة إزالة الكيان الصهيوني، فيقبلونه كأمر واقع.

موشيه ديان – أحد أبرز القادة العسكريين الإسرائيليين – قدّم تفسيرًا عمليًا للنظرية حين قال إن إسرائيل، بحكم وجودها، ستظل محاطة بأعداء سواء فى زمن الحرب أو السلام، ما يستوجب تحصينها دائمًا.

من الإزاحة إلى التوازن

بعد النكبة وحرب 1948، طبّقت إسرائيل المرحلة الأولى من مشروعها وهى "الإزاحة" عبر التطهير العرقى والتهجير الواسع للفلسطينيين.

لكن المرحلة التالية كانت "التوازن"، حيث سعت إسرائيل لتأمين نفسها من أى تهديد عربى عبر التحصين الدبلوماسى والعسكري.

هنا تحوّل "الجدار الحديدي" من فكرة إلى سياسة عملية: التحالف مع الغرب، بناء شبكة علاقات مع دول محيطة غير عربية، واستغلال الانقسامات الداخلية فى المجتمعات العربية.



المقابلة مع أي ٢٤

عقيدة الأطراف: هندسة التحالفات من الخارج

المؤرخ الصهيونى بنيامين بيت حلاحمى أطلق على هذه السياسة اسم "عقيدة الأطراف"، وركائزها ثلاث وهى لتحالف مع قوى عظمى ودول غير عربية – مثل تركيا، إيران الشاه، وإثيوبيا، لتشكيل طوق أمنى حول إسرائيل.

أما ثانى استراتيجية، فهى دعم الأقليات فى الدول العربية – مثل الموارنة فى لبنان، الدروز فى سوريا، والأكراد فى العراق، ثم إشعال الصراعات الداخلية – عبر دعم الملكيين فى اليمن، أو الحركات الانفصالية فى السودان.

يوسى ألفر، ضابط الموساد، وصف هذه العقيدة بأنها من بنات أفكار دافيد بن جوريون بعد أزمة السويس 1956، حين أدرك ضرورة إيجاد حلفاء إقليميين يوازنون العداء العربي.

بن جوريون واتفاقية الرمح الثلاثي

فى 1958، كتب بن جوريون للرئيس الأمريكى دوايت أيزنهاور موضحًا الحاجة إلى تحالف بين عدة بلدان – بينها سوريا ولبنان – يعكس قوة الغرب فى الشرق الأوسط، وذلك وفقًا لمذكرات بن جوروين نفسه.

تحولت الفكرة إلى واقع عبر "اتفاقية الرمح الثلاثي" بين إسرائيل وتركيا وإيران، التى شملت تبادلا للمعلومات الاستخباراتية، وعمليات تجسس مشتركة، ودعمًا لوجستيًا فى مجالات عسكرية وأمنية.

قال بن جوريون حينها إن الهدف هو "سدّ منيع" فى وجه "التيار الناصرى السوفيتي"، مع تعزيز العلاقات مع إيران الشاه وإثيوبيا، وفتح قنوات أعمق مع تركيا.

الارتباط بالغرب: من هرتزل إلى الاتحاد الأوروبي

الانتشار الاستيطانى الإسرائيلى لم يكن ليستمر دون وسيط سياسى واقتصادى وثقافي، وهذا الوسيط كان الارتباط الوثيق بالغرب.

هرتزل نفسه رأى أن الدولة اليهودية فى فلسطين ستكون جدارًا ضد الشرق وقاعدة لنقل الثقافة الأوروبية إلى آسيا، ما يجعلها حارسًا لمصالح الغرب.

فى 1961، وضعت وزارة الخارجية الإسرائيلية مذكرة لطلب بدء محادثات مع السوق الأوروبية المشتركة، بحجة أن إسرائيل تمثل "القيم السياسية والثقافية الأوروبية" فى الشرق الأوسط، وأن دمجها اقتصاديًا سيعزل العرب ويجبرهم على التعامل معها ككيان طبيعي.

أبا إيبان، وزير الخارجية الإسرائيلي، قال فى 1967 إن إسرائيل "دولة أوروبية بقدر ما هى آسيوية" ويجب أن تنضم إلى السوق الأوروبية المشتركة.

الطريق الأمريكي: من التردد إلى التحالف الاستراتيجي

بعد 1948، كانت الولايات المتحدة مترددة فى دعم إسرائيل عسكريًا، خوفًا على مصالحها النفطية وعلاقاتها مع العرب. جورج كينان حذّر من أن دعم الصهيونية المتطرفة سيقوّى النفوذ السوفيتى فى المنطقة، ويضر بالقواعد العسكرية الأمريكية.

لكن مع إدارة كينيدى فى أوائل الستينات، تغير الموقف. ففى 1962، أبلغ كينيدى جولدا مائير أن أمريكا ستدعم إسرائيل فى حال تعرضها للغزو، وأمر بأول صفقة أسلحة كبيرة (صواريخ هوك المضادة للطائرات).

بعد هزيمة 1967، ارتفع الدعم العسكرى الأمريكى بشكل ضخم، وتحولت إسرائيل إلى حليف استراتيجى أساسى فى استراتيجية الناتو لمواجهة السوفييت.

تفكيك النسيج العربي: من العراق إلى السودان

رؤية إسرائيل الكبرى لم تكتف بالتحالفات، بل استهدفت المجتمعات العربية من الداخل.

فى الثلاثينيات، بدأ رؤوفين شيلواح، صديق بن جوريون وأول رئيس للموساد لاحقًا، بزيارة العراق وإنشاء شبكة استخباراتية تركز على استقطاب الأقليات، خصوصًا الأكراد.

فى 1948، اقترح عضو الكنيست باروخ أوزيل تحالفًا بين إسرائيل وأقليات المنطقة: الموارنة، العلويون، الأكراد، والأرمن. لاحقًا، دعمت إسرائيل تمرد الأكراد فى العراق (عملية "أثينا" 1963 بالتعاون مع سافاك الشاه).

وفى اليمن والسودان ولبنان، تكررت الاستراتيجية: دعم تيارات انفصالية أو أقليات لخلق بؤر توتر دائمة تتيح لإسرائيل التدخل غير المباشر.

من جابوتينسكى إلى نتنياهو، تتضح ملامح مشروع "إسرائيل الكبرى" كخطة استراتيجية لا مجرد حلم أيديولوجي. الجدار الحديدي، عقيدة الأطراف، التحالف مع الغرب، وتفكيك المجتمعات العربية، كلها أدوات فى خدمة هدف واحد: تثبيت إسرائيل ككيان مهيمن وطبيعى فى المنطقة، وإجبار العرب على القبول بوجودها.

تصريحات نتنياهو الأخيرة ليست إذن خروجًا عن الخط التاريخي، بل امتداد له، وربما خطوة أخرى نحو تحويل "إرتز يسرائيل" من خريطة فى الذهن الصهيونى إلى واقع على الأرض.

بقلم: أحمد قاسم
نقلا عن موقع "عن مصر"

الشهد
العدد 341 – السنة الرابعة عشرة - الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م الموافق 18 صفر 1447 هـ

قالت العرب

«انتظري الفكرة، لا تنتظري المفكّر. انتظري القصيدة، ولا تنتظري الشاعر. انتظري الثورة، ولا تنتظري الثائر. المفكّر يخطئ، والشاعر يكذب، والثائر يتعب.»

محمود درويش (1941- 2008)

كلاريسا بيرت لـ« الشهد »: لا أحب شعر أدونيس (2 من 2)

لم آتِ إلى العربية باحثة عن جمهور بل عن معنى وأشعر أننى ما زلتُ طالبة فى حضرة الشعر العربي

أحتاج إلى حيوات أخرى كى أقرأ ما يكفى من الشعر العربي



فى الجزء الثانى من حوارنا مع الباحثة الأمريكية والمستعربة المتخصصة فى الأدب العربى كلاريسا بيرت، نغوص فى أعماق تجربتها مع الشعر، لا باعتباره موضوعًا أكاديميًا فحسب، بل بوصفه تعبيرًا إنسانيًا عميقًا عن الوجود والانتماء.

تتحدث بيرت هنا كعاشقة للشعر لا فقط باحثة فيه، ومترجمةً لا تسعى لإرضاء القارئ الأمريكي، بل تبحث من خلال الترجمة عن المعنى، وعن صوتٍ يشبه صوتها الداخلي. فتقول: «أنا لا أترجم للآخرين، بل أترجم لنفسي، كما أكتب وأقرأ لنفسي." هكذا تضع الشعر فى قلب التجربة الإنسانية، وتعيد تعريف فعل الترجمة بوصفه مشاركة وجدانية لا مهمة تقنية.

نتأمل معها مكانة شعراء الصعاليك فى الذاكرة الثقافية، وحضور شعر السبعينيات المهمّش فى العقود السابقة، وجدلية الحداثة والتقليد، وصراع قصيدة النثر مع المؤسسة النقدية. ونستمع إلى رؤيتها لأعمال شعراء كبار مثل وديع سعادة، إيمان مرسال، أدونيس، حيث تكشف عن ذائقة شعرية تنحاز للصدق، وللإنسان فى لحظة ضعفه وتفككه.

تكشف عن مدى حضور الشعر العربى فى الثقافة الأمريكية، والحضور الأكاديمى والأدبى المتزايد فى العقدين الأخيرين للثقافة العربية فى أمريكا، فى ظل تحولات كبرى كالحروب وثورات الربيع العربي.

حوار عن الشعر بوصفه وطنًا، والترجمة بوصفها عبورًا، والانتماء بوصفه حالة وجدانية لا تقيده الجغرافيا ولا اللغة.

لا أرى الشهرة معيارًا للنجاح أو تعبيرًا صادقًا عن القيمة الشعرية

•لديك اهتمام خاص بأدب "حرب البسوس"، فما الذى جذبك إلى هذا الموضوع؟

بدأت الموضوع من دراستى لشعر حرب البسوس، فقرأت شعر المهلهل وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة، وكل القصائد المتعلقة بتلك الحرب الشهيرة. كنت أعلم أن هناك سيرة شعبية عن حرب البسوس، فأردت أن أستكشف الامتداد الشعرى والثقافى من العصر الجاهلى إلى الأدب الشعبي. بدأت أبحث فى الأجيال اللاحقة عن حضور هذه الحرب وكيف أعيدت معالجتها أدبيًا، ثم اكتشفت أن أم عمرو بن كلثوم كانت قريبة المهلهل، فزاد ذلك من اهتمامي: هل يذكر عمرو بن كلثوم هذه المعركة فى معلقته؟ هل تعكس معلقته شيئًا من هذا الإرث؟ ثم درست رد الحارث بن حلزة عليه فى معلقته "آذنتنا ببينها أسماء"

•من أين بدأت شرارة هذا الاهتمام بهذه المسألة؟

ما شدّنى إلى الموضوع فعلًا كان مصادفة جمية. كنت أجلس كثيرًا مع شعراء السبعينيات فى مصر، مثل أحمد طه ورفاقه، فعرفونى على شعر أمل دنقل، وعلى ديوانه "أقوال جديدة عن حرب البسوس". ومن هنا بدأت القصة. إذ كانوا يصفونه بانه "آخر شاعر جاهلي" وشاعرًا صعلوكا، ومن هنا تأكد لديّ أن "الصعاليك"، فى أى جيل، يمثلون صوتًا مهمًا جداً.

•أيضًا لديك اهتمام خاص بشعر الصعاليك العرب فكيف قرأت مكانة شعر الصعاليك وسبب حفظه فى الذاكرة الثقافية؟

نعم، السؤال الذى ظل يؤرقنى هو: لماذا احتفظ العرب بهذا الشعر، رغم أن بعض الشعراء أنفسهم لم يكونوا يعتزون به أو يتعاملون معه على أنه شيء عظيم؟ هذا يدل، فى رأيي، على أنه يعبر عن شيء عميق جدًا فى الروح الثقافية العربية. عندما أدرّس شعر الصعاليك لطلابى فى أمريكا، أقول لهم: لدينا فى الغرب أيضًا نماذج من "المنبوذين" أو الـ "outlaws"، مثل الذين عاشوا فى الغرب الأمريكي، وكثير منهم كانوا مجرمين أو خارجين عن القانون، ومع ذلك احتفظت بهم



الثقافة الشعبية من خلال الحكايات، لا الشعر. أما فى الثقافة العربية، فالشعر كان الوسيلة الأساسية لحفظ كل شيء: سيرة الأفراد، تاريخ القبيلة، أيام الحرب، وحتى المواقف السياسية.

•وهل يعنيك الجانب التاريخى فى هذه القصائد؟

لا، لا يعنينى كثيرًا إن كانت الأحداث المذكورة فى القصائد حقيقية أم لا. كثير من العرب يرون هذا الشعر جزءًا من تاريخهم، وهم لا يشكون فيه. أما أنا، فأهتم بالبعد الثقافى والرمزى لا بالوقائع. ما يشدّنى هو كيف يرى الناس هذه النصوص، وكيف يستخدمونها لبناء تصورهم عن أنفسهم وتاريخهم.

• كيف أثّرت معرفتك بشعراء السبعينيات فى مصر على نظرتك للشعر العربى الحديث؟

تعرفت على شعراء السبعينيات فى مصر فى بداياتى العلمية، ولم تكن قدراتى فى اللغة العربية قد نضجت بعد. لكن ما لفت انتباهى وقتها هو شغف هؤلاء الشعراء بالشعر، رغم شعورهم الدائم بالإحباط، لأنهم لم يجدوا منصات رسمية تنشر لهم أو تعترف بإبداعهم. ففتحوا لأنفسهم طريقًا بديلًا، ونشروا أعمالهم بأنفسهم، وساعد بعضهم بعضًا، واستمروا على هذا النهج لسنوات طويلة. لم تبدأ المؤسسات الثقافية الرسمية فى الاعتراف بهم إلا بعد نحو عشرين عامًا.

•ما رأيك فى طريقة تعامل النقاد والمؤسسات مع هذا الشعر أو مع الشعراء المجددين؟

وقتها فهمت أن هناك صراعًا عميقًا داخل الوعى الثقافى العربى حول سؤال: ما هو الشعر؟ هل هو ما ورثناه من القصيدة العمودية الكلاسيكية الملتزمة بالعروض والقافية؟ أم هو شعر التفعيلة؟ أم هو الشعر الحر كما ظهر عند شعراء المهجر والحداثة؟ كنت أتابع هذا الجدل المحتدم، وألاحظ كيف كانت المؤسسات ترفض التجديد فى البداية، ثم بدأت لاحقًا تنشر بعض النصوص الحديثة وتسمح بمناقشة هذه القضايا الجمالية والفكرية.

•هل تعتقدين أن شعراء السبعينيات ظُلموا نقديًا؟

إلى حد ما، إذ قال بعض النقاد آنذاك إنه "لا يوجد شاعر كبير فى جيل السبعينيات"، لكننى لا أرى الشهرة معيارًا للنجاح أو القيمة الشعرية. وجدت لدى شعراء السبعينيات نصوصًا ممتازة وقوية، وكذلك فى الأجيال التالية. ورغم أن المؤسسات تأخرت فى الاعتراف بهم، فقد شعرت أنهم كانوا يحملون "شعلة الشعر" من الأجيال التى سبقتهم ليسلموها للأجيال التالية. وقد أدّوا هذا الدور، فى رأيي، بجدارة. لقد خدموا الثقافة العربية خدمة عظيمة، والآن، بعد مرور الزمن، بدأت الأوساط الأكاديمية تعيد النظر فى إنتاجهم وتقيّمه بتقدير أكبر.

•كيف رأيت الجدل حول قصيدة النثر وصراع تعريف "ما هو الشعر"؟

ما أنا لأجبر شاعرًا أن يكتب بطريقة معينة. شاهدت هذا الصراع عن قرب، والجدال حول ما إذا كان هذا شعرًا أم لا، وكنت أضحك فى سرّي. وجدت أن كثيرًا من النقاد يصرّون على أشياء لا علاقة لها بجوهر الشعر، وكأن الأهم هو التصنيف، هل ينتمى النص لتراث الأجيال السابقة، أم لا. لكنى أؤمن أن من حق كل جيل أن يخترع فنّه، وأن يطلق عليه "شعرًا" إن أراد. لا أرى فى ذلك مشكلة.

• هل تعتقدين أن الرفض لقصيدة النثر له علاقة بخلفيتها الثقافية الغربية؟

نعم، هذا صحيح. ربما رفضت لأنها قادمة من تأثير غربي. أفهم أن الناس لا يحبّون الخروج عمّا اعتادوه، لكنى أنتمى إلى ثقافة أمريكية يدخلها كل عام شيء جديد قادم من ثقافات أخرى، وهذا التنوع مصدر قوة. الشعر، الموسيقى، الكتابة، كلها تتأثر بهذا الانفتاح. لذا يمكننى قبول فنون جديدة بسهولة، بينما البعض يرفضها رغم أنها قد تكون مهمة.

• هل لذلك علاقة بمفهومك للانتماء؟

ربما. فأنا لا أشعر أن لى وطنًا محددًا. وُلدت فى لوس أنجلوس لكن تركتها وأنا رضيعة، وعشت فى أماكن كثيرة لا تربطنى بها جذور قوية. لذا لا أتشبّث بمكان أو فكرة. هذا جعلنى أكثر تقبّلًا للفن الجديد والاختلاف. وأفهم من أين يأتى الرفض، لكن لا أوافق عليه. أعرف أن اللغة والمصطلحات تتغير مع الزمن، وأظن أننا سنكتشف الكثير حين نعود لدراسة شعراء السبعينيات بعيون مفتوحة.

•جمعتك لقاءات عدة بأدونيس فكيف ترين مشروعه الإبداعى الشعري؟

لا أحب شعر أدونيس كثيراً بشكل عام، لكن لدى إعجاب خاص بكتابه "الكتاب: أمس المكان الآن". هذا المشروع الكبير الذى يشمل ثلاثة مجلدات يعيد بناء التراث الشعري، الفكري، والتاريخى بطريقته الخاصة جداً. أرى أن شعره فى هذه المجلدات أجمل وأعمق من شعره الأصلى الذى عرفناه. هو لا يكتب فقط نصوصًا شعرية، بل يعيد قراءة التراث من منظور جديد، يصنع تاريخًا شعريًا وفكريًا مختلفًا.

أعجبت بهذا المشروع نفسه لأنه يحاول ربط الحاضر بالماضي، وهو عمل فنى ومشروع فكرى فى آن معاً. ربما أدونيس هنا أكثر صدقًا، وأشعر أنه يقدم للعالم رؤية جديدة للتراث الشعرى العربي، برؤية تجمع بين الحلم والتمرد والمعرفة.

•يحظى وديع سعادة بمكانة كبيرة فى ذائقتك الشعرية انعكس ذلك فى ترجمة جملة من أعماله إلى الإنجليزية؟

أحب شغله كثيراً. تعرفت عليه أول مرة بشكل عابر فى القاهرة سنة ٢٠٠٢، وقرأت له ديوان "محاولة وصل ضفتين بصوت" لم يكن يشبه أحداً. وجدت فى شعره صوتا إنسانيًا عميقًا، وجوديًا، يكتب من قلب تجربة قاسية ومتفردة. لا يذكر أسماء ولا أماكن، لكنه يجعل من الغياب حضورًا كاملًا؛ أشخاصه يذوبون أمام القارئ، كأنهم أطياف، لكنه يُشعرنا بهم بكل وضوح.

شعره ينطلق من لحظة تفكك حقيقي، من الحرب الأهلية فى بيروت، من غربته فى أستراليا، من الوحدة، من الفقدان. كتب فى عالم لا يعرف لغته ولا يعرف أحدًا فيه، لكنه يحمل بداخله أشياء لا تفهمها الكائنات التى تعيش حوله. شعره بهذا المعنى ليس عربيًا فقط، بل إنسانى وعالمي، لأنه يعبر عن مشاعر إنسانية نعرفها جميعًا: الغربة، الحزن، الفقد، الوحدة القاتلة..

ترجمت له ديوانين، لأننى شعرت أن صوته ضرورى فى عالمنا الحديث. هو لا يكتب فقط عن الاغتراب، بل يصنع من النص نفسه حالة اغتراب. أحيانا أشعر أن النصوص نفسها تموت على الورق، تنسحب، تتلاشى. هناك نصوص فى شعره تحمل إحساسًا بالانتحار، ليس فقط إحباطًا، بل يأسًا حقيقيًا.

أقول دائمًا لطلابي: ستشعرون بالغربة حين تذهبون إلى مكان جديد، ولن تجدوا أنفسكم فيه سريعًا، لكن وديع كتب عن لحظة ما قبل التكيّف، عن تلك الهوة العميقة التى يعيش فيها الإنسان بين ما يعرفه وما لا يستطيع أن يعيشه. تلك التجربة نادرة، وديع سعادة استطاع أن يدوّنها بقوة وأنا معجبة كثيرًا بما فعله.



> لدى إعجاب خاص بنص أدونيس «الكتاب: أمس المكان الآن» بمجلداته الثلاثة

> وجدت فى شعر وديع سعادة صوتاً إنسانيًا عميقًا وجوديًا، يكتب من قلب تجربة قاسية ومتفردة

> لدى محبة خاصة للشعر الصوفي، ومن أجمل النصوص الصوفية الوجودية فى رأيى هى نصوص النفري

•لك ارتباط خاص بالشعر الصوفي، ما سر هذا الارتباط؟

لدى محبة خاصة للشعر الصوفي، ومن أجمل النصوص الصوفية الوجودية فى رأيى هى نصوص النفري. لم أترجمها للنشر، وإنما لنفسي. هناك ترجمتان معقولتان لهذه النصوص: واحدة لأربري، والأخرى لزميلى مايكل ساوز. النصوص نفسها عجيبة، وفيها شيء من الوجودية. وقد لمستُ هذا الطابع الوجودى أيضًا فى جزء "الرحيل"؛ ففيه مقاطع مهمة يتحدث فيها الشاعر عن رحلته فى الصحراء على ناقته، مستخدمًا صورًا شعرية لحيوانات صحراوية مختلفة، إما تُصطاد، أو تخاف من الافتراس، أو من صيد الإنسان لها. وهناك دائمًا سؤال يتكرر: كيف نعيش؟ ما هى المخاطر التى نقبلها ولا يمكن الهروب منها؟ فـ"جزء الرحيل" يحمل الكثير من الأفكار الوجودية.

•لك باع طويل مع ترجمة شعر الشعراء العرب إلى الإنجليزية حدثينا هذه التجربة؟

لقد ترجمتُ الكثير من الشعر العربى إلى الإنجليزية: هدى عمران، أدونيس، محمود درويش وغيرهم. ولا يهمّنى كثيرًا كيف يُستقبل هذا الشعر فى الثقافة الأمريكية؛ لا أعلّق أملًا على اهتمام الجمهور الأمريكى بترجماتي. أنا أترجم كنوع من القراءة، وكأنها شكل من أشكال الكتابة. أترجم لنفسي، كما أكتب وأقرأ لنفسي. فأنا لم أدخل الحياة الأكاديمية سعيًا للجمهور أو النجاح، وإنما لإغناء روحى وعقلي.

•هل يهمك أن تلقى ترجماتك صدى لدى الآخرين؟

بالتأكيد، أشعر بالفرح حين أجد طالبًا يهتم بشيء مما ترجمته. لكن لو كنتُ أتوقع ردودًا إيجابية من جمهور، لما استطعتُ الاستمرار. بالتأكيد هناك شعراء يهتمون بتلقى الشعر والتفاعل معه، لكننى لا أفكر بهذه الطريقة. لا أظن أن أفضل فن فى العالم موجود فى المتاحف، بل فى الفن الذى ينبض بيننا، فى حياتنا المشتركة. أنا أصنع ترجماتى لنفسي، لا بهدف الآخرين.

•ما الذى جذبك فى تجربة إيمان مرسال الشعرية؟

إيمان مرسال لها صوت جريء جدًا، لا يمكن لأى شاعرة أخرى أن تكتب مثلها. نشرت نصوصًا جديدة وغير مألوفة على الساحة الثقافية، وقامت بشيء مهم. ترجمتُ لها بعض قصائدها، وأحببت فى شعرها حديثها عن ذكريات من طفولتها وشبابها، التى كشفت من خلالها أنها إنسانة حقيقية.

قامت بتعرية الذات، وقدّمت أشياء "شريرة" وقبيحة عن نفسها. رسمت صورة الإنسان كما هو، مثل كل البشر: أحيانًا نعذّب أطفالنا، ونكذب. كتبت عن ذلك كله بجرأة نادرة.

• كيف تقيّم حضور الثقافة العربية فى الثقافة الأمريكية خلال العقود الأخيرة؟

منذ أكثر من ثلاثين أو أربعين سنة، كان هناك عدد قليل جدًا من المترجمين من العربية إلى الإنجليزية، ولم يكن هناك انتشار واسع للأدب العربى فى الثقافة الأمريكية العامة، سوى بعض الأعمال مثل "ألف ليلة وليلة". لكن خلال هذه السنوات الثلاثين، تغيرت الأمور بشكل ملحوظ فى الجامعات وفى الثقافة الأمريكية بشكل عام.

برز الأدب العربى الأمريكي، حيث يكتب العرب الأمريكيون تجاربهم باللغة الإنجليزية، ما فتح عيون الناس على الثقافة العربية. كما شهدت حركة الترجمة تقدمًا ملحوظًا، رغم أننا لم نصل بعد إلى ما أطمح إليه.

• هل هذه الترجمات لها أى صدى؟

– الأدب العربى المترجم بدأ يؤثر فى الثقافة الأمريكية والوسط الأدبي، خاصة مع الاحتجاجات ضد الحروب فى الشرق الأوسط. هناك جوائز أدبية تكرّم الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، والترجمات العربية وصلت إلى قوائم مثل "بوكر"، وهذا أمر جديد لم يكن موجودًا من قبل.

• هل ترى أن الأحداث السياسية مثل الحرب على العراق والربيع العربى أثرت إيجابيًا على فهم الثقافة العربية فى أمريكا؟

لم تكن أحداث ١١ سبتمبر وحدها الدافع لحركة الترجمة، بل ساهم أيضًا الوجود العسكرى الأمريكى الطويل فى العراق، والأدب الذى كتبه الجنود العائدون وغيرهم من الأمريكان الذين عاشوا فى العراق وأحبوا الثقافة العراقية، فى زيادة الاهتمام. بدأ الناس فى الولايات المتحدة يقرؤون ويتحدثون عن الفنون والثقافة العربية بشكل أعمق، وليس فقط الصورة النمطية السائدة.

ربما يكون هذا هو الجانب الإيجابى الوحيد لحرب أمريكا على العراق؛ حيث استفادت الثقافة الأمريكية من هذا الانفتاح. ونفس الأمر ينطبق على ما يسمى "الربيع العربي".

• فى الأخير بعد هذه الرحلة الطويلة مع الشعر العربى قديمه وحديثه كيف تقيمين هذا الأمر؟

– أشعر ما زلتُ طالبة فى الشعر العربي، وأشعر أننى أحتاج إلى حيوات أخرى كى أقرأ ما يكفى منه. ليس هناك وقت كاف لنقرأ كل شيء، فالتراث مملوء بالشعر العربى الممتاز.

حوار:
د. عبدالكريم الحجراوي

«اسمك» قصيدة تخترق نسيج الزمكان وتعيد إحياء الأساطير

فى محاورة الوليمة (Symposium) للفيلسوف اليونانى أفلاطون، يسرد الكوميدى الساخر أريستوفانيس أسطورة مدهشة لتفسير أصل الحب. يروى أن البشر كانوا فى البدء كائنات مزدوجة، تجمع فى جسد واحد بين الذكر والأنثى، وتمتاز بقوة وسرعة هائلتين مكنتهما من تحدى الآلهة ذاتها. وللحد من خطرهم، شقّ الإله زيوس كل كائن إلى نصفين وفرق بينها (ذكر/ أنثي) من أجل إضعاف البشر وجعلهم غير قادرين على تحدى الآلهة، ومنذ ذلك الحين، غدا كل إنسان يحمل حنينًا عميقًا إلى نصفه المفقود، يبحث عنه بشوق لا يُشفى، فى سعيٍ دائم نحو العودة إلى حالته الأولى من الوحدة والاكتفاء.

هذه الأسطورة التى قد تبدو للوهلة الأولى محض خيال ميثولوجي، تُجسّد فى جوهرها تصوّرًا فلسفيًا عميقًا عن الحب بوصفه حاجة روحية وجودية للاندماج، والرغبة فى استعادة وحدة ضائعة. ويتجلى هذا المعنى بوضوح لافت فى الفيلم اليابانى «اسمك»"Your Name" (٢٠١٦) للمخرج ماكوتوشينكاي، حيث يأخذ الحب بعدًا ميتافيزيقيًا، مرتبطًا بالزمن، والذاكرة، والقدر. فالبطلان – رغم تباعد المكان والزمان بينهما – يخوضان رحلة بحث روحى وشعورى عن بعضهما، كما لو كان كل منهما نصفًا ضائعًا يبحث عن الآخر ليكتمل.

ومن هذا المنطلق حظى الفيلم بنجاح كبير، يعود فى جانب منه إلى هذا التوتر العاطفى العميق الذى يشد المشاهد، فهو لا يشاهد قصة حب عادية، بل يتورط فى أسطورة معاصرة عن البحث الأبدى عن النصف الآخر ذلك الذى يعيد للروح وحدتها الأولى.

يعتمد الفيلم على أسطورة يابانية شنتوية، التى تعنى "طريق الآلهة". وتأتى هذه الأساطير على لسان الجدة لحفيدتيها أثناء تأدية الطقوس المتوارثة الخاصة بالإله موسبى إله الزمن، والقادر على «توحيد الناس، والمحدد لجريان الزمن». وتوضح الجدة أن النسيج الذى تصنعه هو فن الإله موسبي، حيث تشكل خيوطه جريان الزمن، إذ «تتجمع وتكوّن شكلاً، وتتشابك، وتتحل أحيانًا، وتنفصل ثم تتصل مجدداً».

تشكل هذه الرؤية الشنتوية أساسًا فلسفيًا للفيلم، إذ يُقدَّم الحب والارتباط بين الشخصيتين الرئيسيتين بوصفه نتيجة لهذا التداخل بين الزمن والمكان والمصير، ضمن نسيج مقدّس تصنعه الآلهة.

هذه الأسطورة هى التى تفسر لنا آلية تبادل الأجساد العجائبية التى تحدث بين الفتاة الريفية ميتسوها، والشاب الوسيم ابن العاصمة طوكيو تاكي-كن. يبدأ الأمر بصرخة ضيق تطلقها ميتسوها، تتمنى فيها من الآلهة أن تجعلها فى حياتها القادمة شابًا وسيمًا يعيش فى طوكيو، بعدما سئمت حياة الريف الرتيبة، التى لا شيء مسليًا فيها والوقت يمضى ببطء. ميتسوها لم تكن بحاجة إلى حياة جديدة، إذ سرعان ما وقعت فى تلك الظاهرة الغريبة، التى بدت كحلم واقعى تمامًا. حالة لم تكن غريبة على عائلتها، بل هى عادة موروثة تمر بها نساء العائلة عبر الأجيال وستكون سببًا فى إنقاذ قرية كاملة من الإبادة.

الانتقال من بيئة إلى أخرى، ومن جنس إلى آخر، يخلق سلسلة من المواقف المضحكة دون افتعال. ينتقم كل طرف من الآخر على طريقته، تنفق ميتسوها أموال تاكى فى المطاعم، وتمارس حياته اليومية بحرية، بينما يتصرف تاكى -وقد حلّ محلها- بجرأة وغرابة لا تتناسب مع أعراف الريف، ولا مع شخصية ميتسوها الهادئة. يذهب إلى المدرسة دون أن يمشط شعره، يتحدث بعدوانية، ويتصرف بلا مبالاة.

ومع تصاعد المواقف، يقرر الاثان عقد اتفاقية يتعهدان فيها بألا يسيء أحدهما إلى صورة الآخر خلال فترة التحول، التى تحدث فجأة من مرتين إلى ثلاث مرات أسبوعيًا. يدوّن تاكى ملاحظاته لميتسوها فى دفترها، وتترك له هى رسائل على هاتفه الذكي، ويستمر هذا التناغم بعد فترة من المشاكسة والمتاعب، ويساهم كلٌّ منهما فى إصلاح حياة الآخر، ويكمل النقص الذى يعانيه.

تستطيع ميتسوها -فى جسد تاكي- أن توطد علاقته بزميلته فى العمل، تلك التى طالما أُعجب بها ولم ينجح فى لفت انتباهها بسبب منافسة زملائه. لكن المفارقة أن انتصاره يتحقق بفضل "اللمسة الأنثوية" التى كانت تنقصه، عندما يساعدها فى خياطة ثوبها الذى مزّقه أحد الزبائن عمدًا، ليعيده أفضل مما كان عليه مستغلة خبراتها فى الخياطة، لترى الزميلة فيه جانبًا لم تكن تعرفه من قبل فتقع فى غرامه.

تتوطد العلاقة بين تاكى وزميلته فى العمل، التى تلاحظ بدورها أن شخصيته تتبدل من يوم إلى آخر؛ فتارة يبدو حساسًا وودودًا، وتارة أخرى منطويًا أو على غير طبيعته. تتقرب منه وسط حسد زملائه. تدعوه إلى موعد، وفى نهاية اللقاء تدرك أن تاكى لم يعد يحبها. تتفهم حقيقة مشاعره، دون أن تعرف أسباب هذا التغير، أو أن تدرك أنه لم يكن هو نفسه دائمًا، وأنه قد وقع فى غرام الفتاة التى يتلبس جسدها وتتلبس جسده.

فجأة ينقطع التواصل وتبادل الأجساد بين تاكى وميتسوها، فيشعر بالخواء، ويبدأ رحلة البحث عن حبيبته، يعيد رسم القرية التى لا يعرف لها اسمًا، ويقرر البحث عنها حاملًا تلك الرسومات معه، هو ما يذكرنا بما فعله فيروز شاه وهو يحمل خصلة شعر



عين الحياة بحثًا عن صاحبة الخصلة التى وقع فى غرامها، أو حتى إلى قصة سندريلا المعروفة.

يتنقل تاكى رفقة صديقين قررا أن يرافقاه فى رحلته بحثًا عن تلك القرية التى توجد فيها حبيبته، لكن لا أحد يتعرف عليها من خلال رسوماته، وحين ييأس من وجودها ويقرر العودة يتفاجأ بأن صاحب المطعم يشيد بجودة رسمه لقريته «إيتوموري»، لكن هذه المفاجأة السعيدة لا تكتمل، إذ يعرف منه أن هذه القرية قد اختفت من الوجود منذ ثلاث سنوات بسبب نيزك ضربها وراح ضحيته ٥٠٠ نسمة من سكان القرية وحولها إلى قرية خربة بلا سكان، يفتش تاكى فى الأخبار القديمة، ينظر فى أسماء الضحايا ويجد اسم ميتسوها بين الضحايا، غير مصدق أن ما كان يمر به من أيام فقط، هو تواصل أرواح مع فتاة ماتت منذ ثلاث سنوات، ليكتشف هنا أن الإله موسبى ليس قادرًا فقط على التنقل بين المكان فقط وإنما التنقل عبر الزمن أيضًا.

يقرر تاكي، الباحث عن نصفه الآخر، أن يستعين بأسطورة الإله موسبى ليعيد التواصل مع ميتسوها ويحذّرها من سقوط مذنب «تيامات»، فى محاولة لإنقاذ قريتها من الدمار. يتجه إلى الضريح المقدّس، ويشرب من نبيذ ساكى الأرز الذى صنعته ميتسوها بطريقة يابانية خاصة متوارثة، ويستعين بالنسيج الذى يرمز إلى تداخل الزمن وتشابكه. وبالفعل، يتمكّن من الوصول إليها فى اللحظة المناسبة.

فى ذلك اللقاء الفريد، يلتقى الحبيبان وجهًا لوجه للمرة الأولى، لا عبر تبادل الأجساد، بل فى لحظة عابرة يُطلق عليها فى التقاليد اليابانية اسم "تاسوكاري"؛ وهى تعنى «الشفق»، الزمن الواقع بين الليل والنهار، حين تتلاشى الحدود بين العوالم ويصبح لقاء الأرواح، بل وحتى غير البشر، أمرًا ممكنًا.

يتعاتب المحبان على المصاعب التى سبّبها كل منهما للآخر، ثم يسارع تاكى إلى إيصال تحذيره. يتفقان على كتابة اسميهما على أيدى بعضهما البعض حتى لا ينسى أحدهما الآخر. يكتب تاكى على يدها «أحبك» بدلًا من اسمه، وينتهى وقت الغسق قبل أن تتمكن ميتسوها من كتابة اسمها على يده مما يعنى أنهما لن يتذكرا أسماء بعضهما البعض بعد أن تنتهى هذه الرحلة.

وفى خضم هذه الأحداث، يكتشف تاكي-كن أن ميتسوها كانت قد جاءت بالفعل إلى طوكيو بحثًا عنه، وأنها التقته ذات يوم فى القطار. لكنها كانت الوحيدة التى تعرفه، بينما لم يتعرف هو عليها، إذ لم يكن تبادل الأجساد قد بدأ بعد فى زمنه. تصاب ميتسوها بخيبة أمل كبيرة وتنزل من القطار، يائسة ومحبطة من نتيجة رحلتها، وفى اللحظة التى تهمّ فيها بالمغادرة، يسألها تاكي-كن عن اسمها، لكن وسط الزحام لم يتمكن من سماع الإجابة، ويتحرك القطار. ومع ذلك، تلقى إليه بمَنسوجة صغيرة من نسيج موسبي، كانت قد صنعتها بيديها، ويحتفظ بها هو منذ ذلك الحين فى معصمه كتميمة، دون أن يعرف حتى تلك اللحظة من التى أهَدَته إياها. ويتمكن لاحقًا من إرجاع هذه المنسوجة لها فى لحظة لقائهما الخاطفة خلال وقت «الشفق»، حين يتلاشى الحد الفاصل بين عالميهما.

تتلاشى هذه الأحداث من ذاكرة البطلان لكن يظل كل واحد منهم يطارده شعور «أنه يبحث عن شيء ما»، والشعور بالرغبة الملحة فى البكاء «حين أستيقظ فى الصباح، أجد نفسى باكية لسبب ما». دون معرفة الأسباب هذا البكاء.

يتابع تاكي- كن رسم تلك القرية التى ضر بها النيزك،ونجا سكانها بمعجزة من الإبادة بسبب أن عمدة القرية (والد ميتسوها) الذى قرر إبعاد الناس عن موقع ارتطام النيزك إلى مكان آمن، بعد نجاح ابنته فى إقناعه بكلامها الذى بدا له غير منطقي، خاصة وأن كل الأخبار تقول إن المذنب لن ينشطر، وسيمضى بسلام دون أن يتسبب فى أى كارثة.

تمضى خمس سنوات أخرى، ويتخرج البطلان من الجامعة يطاردهما الشعور بأنهما يبحثان عن شيء ما، إلى أن يتقاطع القطاران اللذان يحملانهما، ويرى تاكي- كن فتاة تربط شعرها بنسيج موسبي، ينزل فى محطة القطار ويجرى فى الأنحاء باحثًا عنها فى كل مكان، وهى تفعل كذلك إلى أن يتلقيا على أحد السلالم، وهو صاعد، وهى هابطة، تلتقى العينان، يمران بالقرب من بعضهما البعض دون أى كلام إلى أن يكادا يختفيا عن نظر بعضيهما البعض، يتوقف تاكي- كن ويسألها «هل التقينا من قبل؟» لترد عليه ميتسوها والدموع فى عينيها أشعر بذلك أيضًا، وينتهى الفيلم بهذا المشهد الذى استطاع فيه اثنان أن يتغلبا على ما فعله زيوس ويصبحا جسدًا واحدًا مرة أخرى.

بهذه النهاية ينتصر الفيلم للحب القادر على اختراق حواجز الزمان والمكان، والقادر أيضًا على تغيير المصير وإنقاذ قرية من الإبادة، ويكشف لنا الفيلم كيف يمكن إعادة استثمار الأساطير القديمةفى الفنون الحديثة، لتروِى قصصًا تحاكى جوهر التجربة الإنسانية فى أكثر صورها صدقًا وجمالًا.

د. عبدالكريم الحجراوي

المشهد
تصدر عن شركة « المشهد » للصحافة والطباعة والنشر « ش.م.م »

مدير التحرير
محمد موسى
الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 341 – السنة الرابعة عشرة -الثلاثاء 12 أغسطس 2025 م الموافق 18 صفر 1447 هـ

ثقافة التفاهة



بقلم: د. أنيسة فخرو

إن اطلقنا عليها جزافاً مُسمى (الثقافة)، فهى للأسف أصبحت تسود المجتمعات العربية خاصة، والغربية عامة، والأمور نسبية.

وبدأت فى عالمنا العربي، بعدم احترام لغتنا العربية، والتباهى باللغة الأجنبية، والتمسك بقشور الدين، وحب المظاهر، فى الملبس والمأكل والمشرب، والرغبة فى اقتناء الماركات الغالية الثمن، والسيارات الفارهة، والمساكن الفاخرة، فقط حبّاً فى التباهى بالمظاهر.

ترويج الأغانى الهابطة، والذوق المتدني، والمغنيات والراقصات السحالي، اللواتى يلتصقن ويتمسحن بالجدران، ويتمايلن بوجوهن الأرجوزية المطلية بالألوان، وبأجسادهن شبه العارية، ونرى الحركات المكررة السمجة، واللقطات الأكشنية الرتيبة، والنغمات المحفوظة، حتى صرنا نعتقد أن كل الأغانى يعملها المخرج نفسه، وكل الألحان يضعها الملحن نفسه، ويوزعها الموزع نفسه، ويكتبها الكاتب نفسه، لنسمع تلك الكلمات الرديئة، التى يرددها ويحفظها عن ظهر قلب آلاف الحاضرين من الشباب لحفلات المغنين البائسة، ونرى الحركات الدونية نفسها، ونسمع الموسيقى التى لا روح فيها، والتى هدفها تحريك الأجساد بلا ذوق ولا مشاعر، مع تلك الأصوات النشاز، والأصباغ الفاقعة، والأزياء الساطعة.

شبابنا يشاهد الأفلام السينمائية الهابطة، ويمارس الألعاب الهابطة.

ترويج الثقافة الهابطة بشكل ممنهج منذ أكثر من عقدين من الزمان، نتج عنه جيل يعشق التفاهة ويستمتع بها، جيل يحبّ كل ما هو تافه وهابط.

كل ذلك نتج عن التعليم المنهج الهابط، والتربية الهابطة، التى تعزز القيم الاجتماعية الهابطة، والإعلام المنهج الهابط.

الفن الهابط، الموسيقى الهابطة، الإعلانات الهابطة، البرامج التلفزيونية الهابطة، حتى البرامج المسماه (الثقافية)، تتحصر فى الأزياء والموضة وتصفيف الشعر والمكياج!

شبابنا يشاهد الأفلام السينمائية الهابطة، ويمارس الألعاب الهابطة.

ومن الواضح تكريس القدوة الهابطة لدى الأطفال والشباب، فالمغنى واللاعب و(الفاشن) مثلا هم من يحصلون على أعلى الأجور، وعلى حياة الرفاهية والرغد، فى حين إن المعلم المخلص، والطبيب الشاطر، والكاتب النزيه، والصحفى الأمين، والفيلسوف والمفكر القدير، ورجل الدين الشريف، ورجل العلم المكتشف والمخترع فى مجتمعاتنا العربية أصبحوا من النوادر ويحصلون على التندر وأقل الأجور.

وصار المفسد والمرتشى والحرامى والمنافق والمتملق والتافه هو المحترم اجتماعياً، ودخله يفوق ما قد يتصوره العقل، فى حين أن الإنسان الصادق العفيف يحصل على التهكم، ويلقى الأمرّين فى حياته اليومية.

من نراه يمسك بالكتاب ويقرأ صار أمرًا نادرًا جداً، ومن يعمّل بإخلاص صار يُتهم بالعقلية التقليدية القديمة.

وصارت الرغبة الجارفة لدى الجيل الجديد تنحصر فى الحصول على الوظيفة والعمل التافه والهابط، يريدون فقط تحقيق الربح السريع بدون جهد أو تعب، حتى بلغ اعتماد الدولة على الاقتصاد الهابط، فلا إنتاج إلا للسلع التافهة، والاستهلاك أغلبه فى التوافه أيضاً.

الاهتمام لدى أغلب الفتيات: الموضة والمكياج وعمليات التجميل وإبر البوتكس والفيلر والمانكير والباديكير، والحصول على رجل ثرى للاقتران به، من أجل حضور حفلات المطربين والمطربات، وتناول جميع الوجبات فى المطاعم والكفتيريات.

أما أغلب الشباب الذكور همهم ينّصب على اقتناء السيارة التى تلفت انتباه الفتيات، ولبس الملابس والشماغ والبدلات الماركات، والتسكع فى المجمعات لمعاكسة الفتيات.

كل شيء أصبح هابطاً، حتى يخال المرء إنه هبط معها إلى أسفل السافلين.

حدث كل ذلك بشكل ممنهج وبذكاء جهنمي، لذلك نرى شعوب الغرب تتضامن وتقف بقوة مع قضايا الحق مثل قضية الشعب الفلسطيني، أكثر بكثير من الشعب العربي.

وأعتقد أننا بحاجة إلى عقدين آخرين من الزمن، من التربية والتعليم والإعلام والثقافة والدين الصحيح، لكى نعود إلى رشدنا، ونصحح البوصلة لدى أجيالنا القادمة فى مجتمعاتنا العربية المنكوبة.



غزة تنتصر.. رغم الألم والخذلان



بقلم: معصوم مرزوق

يعلم الله مساحة آلام النفس والبدن ، ومع ذلك ما زالت لدى المقدرة على الإمساك بالقلم ، ومعانقة الأحداث .

منذ بداية الحرب فى غزة ، كتبت وقلت فى أكثر من لقاء تليفزيونى ، أننى أحمد الله ، فقد تحققت النظرية التى اعتنقتها لأكثر من أربعين عاما :

" تكسب إسرائيل فى توازن الردع ، وتخسر فى توازن الرعب " .

نتيجة للتسليح الحديث الذى توفره أمريكا لإسرائيل ، يستطيع الجيش الإسرائيلى إحراز نتائج جيدة فى أى معركة ضد جيش نظامى ، فهو يملك افضل المقاتلات ، وأكثر المدرعات تدريعا وقدرة على المناورة ، فضلا عن انواع قاتلة من الذخائر بعضها محرم الإستخدام دوليا .

لذا فأنه فى مواجهة جيش مثل ذلك ، يكون إستخدام أساليب حرب العصابات هو الانجع ، والذى يمكنه إحداث خسائر مؤلمة فى صفوف الجيش النظامى ، وهو ما بينته فى دراستى عن نظرية " توازن الرعب " ، ودللت على ذلك بالمعارك التى خاضتها فيتنام ضد كل من فرنسا وأمريكا ، وانتصرت فى الحرب ، ولو كان ذلك بأثمان فادحة فى صفوف المجتمع المدني.

الجيوش تتحرك كأفيال ضخمة عمياء

توازن الرعب هو آداة الجيوش الفقيرة فى مواجهة جيوش الأغنياء ، فالفقير يستطيع دائما الإختباء فى مكان غير متوقع كى يقذف السيارة المدرعة للغنى ولو بحجر ، ثم يختفى ..

الجيوش تتحرك كأفيال ضخمة عمياء ، بينما يتقافز حولها المقاومون فى حرب العصابات بخفة الذئاب الجائعة ينهشون من كل جانب ، بحيث تتحول تلك الفيلة فى النهاية إلى أبدان خائرة هائجة .

شيئ من ذلك يحدث الآن فى غزة .

وهذا هو ما فعلته غزة فى الضمير العالمى .. من يلوم السابع من أكتوبر لا يعرف أهمية المقاومة لمن يعانى من الظلم والقهر .

رغم كل عذابنا أمام مشاهد المذابح التى يرتكبها السفاحون الصهاينة ، فأن فقه التاريخ يعلمنا أن كل الشعوب التى قدمت الشهداء على طريق الحرية مثل الجزائر وفييتنام ومصر ...وصلت إلى لحظة الإنتصار ، مهما طال الطريق .

حتى فى آخر الدنيا ، استراليا ، تنتصر المقاومة الفلسطينية ، وشعب غزة البطل المحاصر ، ومثلما انكسر النازى أمام المقاومة الباسلة لشعب مدينة ستالينجراد ، سوف ينكسر الصهيونى المتعجرف .. أنه لم يفقد فقط معركة الصورة على أهميتها ، وإنما فقد أحد أهم أسباب وجوده ، لقد فقد توازن الردع ، ولم يبق أمامه سوى توازن الرعب الذى يخسره بمقتل كل جندى من عصابته ، وبتدمير كل آليه ، وبإنتشار حالات الإنتحار واليأس بين صفوفه .

وإلى المحبطين فى صفوف المتخاذلين ، أقول لهم :" لا نطالبكم أن يكون لكم ثقة وإيمان شعب استراليا ، وشعوب أغلب العالم الآن .. نطالبكم فقط أن تصمتوا ..أن تواروا عاركم بالصمت .. فقد وصم التاريخ أمثالكم وأشباهكم ، ولسوف تنتصر فلسطين ، وما خريف ٢٠٢٧ ببعيد " .

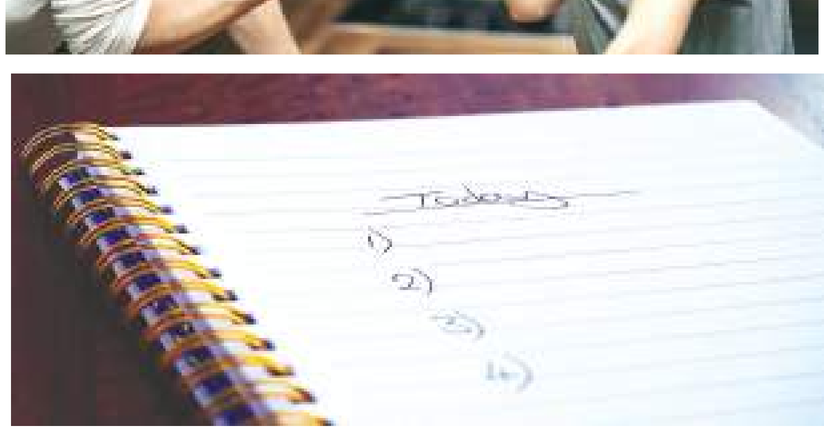
لا زالت بين الأصابع المرتجفة فسيلة ، وسوف نغرسها ، وسوف تكون فى مستقبل قريب غابات من أشجار الزيتون على كل تلال ووديان فلسطين الحبيبة .

مساعد وزير الخارجية الأسبق

في ٧ خطوات: كيف تتجنب الأوقات العصيبة؟









هل تساءلت يومًا لماذا تنتهي المصاعب سريعًا ولا تتكرر عند بعض الناس، بينما يجد آخرون أنفسهم في دوائر من المصاعب المتكررة؟ فيما يلي نستعرض سبعة خطوات قد تحد مع تنفيذها بشكل كبير من تكرار المواقف الصعبة.

١- اعرف نوعية أوقاتك العصيبة

كيف تبدو أوقاتك الصعبة؟ هذا الأمر يختلف من شخص لآخر. إن صغرت صورة حياتك (كأن تقوم بعمل زوم آوت مجازيًا) ونظرت من بعيد، ستُفاجأ أن حياتك تدور في دوائر متكررة. وهذا أمر جيد لسببين: أ- عند إدراك ذلك الأمر يُمكنك إلى حد ما التوقع والجاهزية، ب- بملاحظتك لتلك الدوائر (والتي تتكون من سبب ونتيجة) يمكنك تغيير أسبابها والحصول على نتائج مختلفة. ولكن لا يمكنك ذلك إذا كنتَ عالقًا في تلك الدوائر لدرجة أنه لا يمكنك تمييزها من الأساس.

إذا الخطوة الأولى هي معرفة أوقاتك العصيبة بشكل خاص: هل تحدث لك نوبات حُزن أن غضب أو خوف؟ هل تتشاجر مع أفراد عائلتك؟ هل تجد نفسك في مشكلة كبيرة مع المدير من حين لآخر؟ هل تطرد من العمل كلما حصلت على وظيفة جديدة؟ هل تسوء الأمور ماديًا حتى لا يمكنك دفع الإيجار وتضطر إلى الاقتراض؟ هل تعاني من وعكات صحية حتى إن بدت مختلفة في كل مرة؟ هل يتركك أصدقاؤك أو تجد خيانة من زملائك؟

عليك أن تعرف ذلك وتدونه كالآتي:

أ- ما الذي يحدث بالتحديد؟

ب- كيف أفكر وقتها؟

جـ- وما الأفكار التي تسيطر عليَ حينها (عن الواقع والحياة والناس)؟

د- بم أشعر وقتها؟

هـ- كيف أتصرف وقتها؟

مثال:

أ- ما الذي يحدث بالتحديد؟ أدخل في نوبات حزن عميق بسبب إما التشاجر مع عائلتي أو التشاجر مع مديري.

ب- كيف أفكر وقتها؟ أفكر بأنهم مخطئون، وأغبياء، ولا يستطيعون تقدير وجودي الثمين

جـ- ما الأفكار التي تسيطر عليَ؟ أن الحياة غير عادلة، وأن هذا العالم يُفضل المتملقين الملتوين ولا يُقدر أصحاب الصدق والأفكار الصحيحة والقيم. وأن الإحسان للناس لا يُثمر فهم لا يقدرون.

د- بم أشعر وقتها؟ تنتابني مشاعر الحزن والخذلان والوحدة وأحيانًا غضب شديد وسخط على العالم

هـ- كيف أتصرف وقتها؟ أتعامل بجفاف، لا أبتسم لهم، أرد على أسئلتهم بكلمة واحدة، أنعزل، وأمارس الصمت العقابي

رجاءً افتح مذكرة هاتفك المحمول وأجب على تلك الأسئلة الآن. وإن وجدت صعوبة في الإجابة عليها، فعليك أن تكتبها ثم تُجيب عليها عندما يحدث الأمر (الشجار مع المدير أو سوء الأمور المادية على سبيل المثال).

جيد الآن وقد عرفت شكل الأوقات الصعبة، يمكنك القيام بأمور مسبقة للتخفيف منها أو حتى تجنبها. كما يتضح في النقاط التالية.

٢- لا تنخدع بأوقات الرخاء

يقول روبرت جرين في كتابه (قوانين الطبيعة البشرية) أن غالبية البشر يقعون في ذلك الفخ، حيث عندما تتحسن الأمور، يظنون أن الوضع سيستمر هكذا وانها قد فُرجت إلى الأبد وأن المشكلة لن تتكرر. على سبيل المثال: عندما تحدث انفراجة مالية. قد تظن أنك لن تعود إلى وضعك السابق، ولكن لنكن منطقيين، عدم العودة إلى وضعك السابق يتطلب الكثير من العمل الذهني والنفسي والجسدي وتخطي الكثير من الدروس وتفادي الأخطاء اللي أودت بك إلى وضعك السابق. إن مررت بكل تلك العملية فهنيئًا لك، ولكنك في الغالب لم تفعل. كذلك في العلاقات، وفي العمل وعلى المستويات جميعها، قد تظن أنك تصالحت مع زوجتك وأنها لن تكرر ما أزعجك، فقد وعدتك بذلك. ولكن من الآمن أن تتوقع عودة التصرف المزعج حتى وإن لم يكن بالحدة ذاتها، وأن تتجهز للتعامل معه بتقبل وحياد وإصلاح الأمر تدريجيًا.

وكذلك في مختلف الجوانب، فكما أردفنا، الناس يسيرون في مسارات دائرية شبه ثابتة حتى يقرروا تغييرها، ولا يزالون يرتكبون الأخطاء نفسها ويقعون في المشاكل ذاتها، ولكنهم يفاجأون ويحزنون في كل مرة. علينا أن نقر ونتقبل أن الحياة تسير في موجات، قمم وقيعان، للأعلى وللأسفل. وبالتالي من الجميل أن نستمتع بأوقات الرخاء ونشكر لله عليها، ولكن من الحكمة أن ندرك أنه قد تكون هناك قيعان وأن هذا الأمر طبيعي وبناءً عليه نتجهز بأفضل ما يُمكن لتلك الأوقات.

٣- تحمل المسئولية

نعم، المشاكل تحصل لأنهم لا يفهمون، لا يقدرون، والمشكلات المالية تحصل بسبب أن التضخم وارتفاع الأسعار. وأنت غضبت وحزنت لأنهم قد تصرفوا بشكل غير لائق. وتأخرت عن عملك في الصباح بسبب الزحام المروري لا لأنك قد أمضيت نصف ساعة في تصفح مواقع التواصل الاجتماعي والرد على الرسائل بمجرد أن استيقظت. إن كانت تلك طريقة رؤيتك للأمور فيحزنني أن أخبرك أنك ستمضي حياتك في سلسلة من الأوقات الصعبة المتكررة والتي قد تزداد حدتها، إلى أن تستيقظ.

تستيقظ لحقيقة أن هناك طرفين في المعادلة، وأنت واحد منهما. إن كان طرف ما قد أخطأ، فأنت قد أخطأت كذلك وأدى (تصرف الطرفين) إلى الوقت الصعب. والطرف الآخر قد يكون (شخصا) أو (ظرفا)، تغير منظورك وسلوكك سيغير الموقف ككل في الحالتين.

مثال: سامي يتشاجر مع مديره من حين لآخر، في كل مرة يجد أن المدير هو المخطئ لأنه لا يقدر مجهوده ووجوده، فيدخل في حالة دفاع وغضب. ولكن هذه المرة، قرر سامي التصرف بذكاء، فبدلا من أن يتهم المدير، سيضع نفسه مكان المدير ويحاول أن يفهم دوافعه، عندها سيجد أن المدير ليس مخطئًا، المدير يقدر مهارة سامي في العمل ولكنه فقط يرى أرقامًا يجب إنجازها، وسامي بالفعل لا ينجز تلك الأرقام، وبالتالي بدلا من التعامل بجفاف، سامي يقرر التعامل بتفهم، يقول للمدير: لقد أسأتُ الفهم في السابق، أنت تهتم بالأرقام وأنا كنت اهتم بجودة العمل بدلًا من كثرته، ولكن يمكنك أن تستخدم طريقة ألطف في إيصال الأمر، وأنا سأجتهد في الاحتفاظ بالجودة العالية مع الإنجاز أكثر.

عندما أدرك سامي أنه مسؤول عن سوء الوضع، استطاع تحويل الأمر لمصلحة الجميع. بهذه الطريقة يمكنك تغيير الموقف كاملا بتغيير تصرفك.

٤- تعلم الدرس

لا تحدث الأوقات الصعبة عبثًا، بل هي تأتي لتعلمك شيئًا ما، لتنطلق للمرحلة القادمة في حياتك. عندما تتعلم الدروس سريعًا، توفر على نفسك الكثير من المعاناة.

مثال:

وعكات صحية متكررة؟ قد تشير إلى أنك تحتاج لمراجعة عاداتك في الطعام والحركة والنوم، وكذلك مراجعة أفكارك عن المرض والصحة، وغيرها من الأمور.

مشكلات مالية متكررة؟ ربما حان الوقت لتتعلم إدارة المال، أو تأخذ خطوات جديدة في عملك للارتقاء المالي، أو قد تكون هناك فرصة في محيطك حان الوقت لأخذها.

مشاجرات؟ ربما عليك أن تصقل مهارة الذكاء العاطفي، حتى تستطيع فهم الطرف الآخر والتعامل معه بما يناسبه، أو قد يكون الوقت قد حان لتوسع من دائرة معارفك وتقيم علاقات جديدة مع أشخاص أكثر مناسبة لك.

وبالتالي بدلًا من التعامل من منطلق الضحية، فكر في الأوقات الصعبة على أنها فرصة للتطور، إبحث في الأفعال أو الأفكار التي أوصلتك لهذا المكان، فكر ماذا يجب عليك تعلمه، وكيف تكون أكثر قوة ومرونة وصلابة، وكيف تأخذ تدابيرك كي لا تتكرر تلك المواقف.

٥- أبق عينك على المقدمات وتعامل معها

هناكً دائمًا مقدمات لكل شيء، الشجار قد يبدأ بنظرة بها جفاء، ونوبة الحزن قد تبدأ بتغير ضئيل في الشعور، والمشكلة المالية قد تبدأ بحالة لامبالاة مع المصروفات، والوعكة الصحية قد تبدأ بتجاهل شعور العطش. أبق عينك على المقدمات وتحل ببُعد النظر. وإذا مررت بوقت صعب فكر ماذا كانت مقدماته التي تجاهلتها، وكيف كان يمكنك التعامل مع الأمر على نحو أفضل لتجنب تدهور الوضع.

تذكر أن تلك المقدمات غالبًا ما تكون صغيرة لدرجة أنه يسهل تجاهلها أو حتى عدم ملاحظتها من الأساس. اسأل الله أن يرزقك البصيرة بها ثم تدرب على ملاحظتها ومن ثم إصلاح الأمور قبل أن تتفاقم.

٦- ضع خطتك

"ولتنظر نفس ما قدمت لغد". الآن وقد عرفت المشكلة وكيفية ملاحظتها والتعامل معها، ضع خطتك. عندما تكون الأمور على ما يُرام، احرص على زرع بذور الوفرة والصحة والتفهم والسلام النفسي. ماليًا ابدأ في إدارة الدخل والادخار والاستثمار، إن كنت لا تعرف كيف؟ ابحث وتعلم ثم طبق ما تعلمته وأضف عليه. صحيًا بمجرد مرور الوعكة الصحية اهتم بتنوع وصحية طعامك قدر ما تستطيع، وأسس بالتدريج عادات للحركة سواءً نصف ساعة من المشي في اليوم أو الاشتراك في نادي رياضي أو حتى بعض الرقص الصباحي. عندما تهدأ الأمور بينك وبين من تتشاجر معه عادةً ازرع بذور التفاهم. إن كنت تميل للحزن أو الغضب ضع خطة للتعامل مع ذلك الوقت، اكتب قائمة بالأمور التي تسعدك لتفعلها في وقتها، أو ربما تبدأ في ممارسة التأمل لتتدرب على التعامل مع المشاعر وفهمها وتفريغها بشكل صحي.

حدد خطة تناسبك وابدأ في تنفيذها. وإذا لم تستطع تحديد خطة ابدأ في البحث والتعلم وتخير ما يناسبك من طرق وابدأ في تنفيذها.

٧- تحل بسعة الصدر

ما ترفضه يزيد، وما تتقبله تتخطاه. لا تأخذ الأمور بضيق صدر وجدية مفرطة، تقبل أن هذا ما يحدث وتعامل معه بفضول وسعة صدر وربما بعض حس الفكاهة الساخر. التعامل من ذلك من المنطلق يجعل من الأسهل أن تصل للحلول وتتخطى المشكلة.

فدوي مجدي